KADHAYA TARIKHIA

مجلة دراسات تاريخية

ISNN :718X EISSN : 2802-6031

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/228

إسهامات "خير الدين بربروس" (1518ـ1543م/924-950هـ) في بناء كيان الدولة الجزائرية الحديثة وفق الدراسات الحديثة

The contributions of " Hayreddin Barbaros" (1518-1543) to the construction of the entity of the modern Algerian State according to recent studies

أ/ قسول عبد الحميد

المدرسة العليا للاساتذة – بوزريعة –

Abdou-top-eight@hotmail.com

المجلد: 08 العدد: 01 الصفحات: 56- 100

تاريخ الاستلام: 2022/12/31 تاريخ القبول: 2023/07/07 تاريخ النشر: ../../2023

ملخص:

الملخص: إن دراسة الدور المحوري الذي قام به البايلرباي "خير الدين باشا" في جدلية اكتساب الجزائر كيانا سياسيا موحدا و إرساء حدود دولتها الحديثة جراء إلحاقها بالباب العالي ، و من ثمة جهوده في إخماد التّمردات و الثورات الداخلية و صده لحملات "الريكونكيستا"الإسبانية ، و إنقاذه لآلاف الأندلسيين الفارين من بطش محاكم التفتيش الإسبانية في خضم ولوج الجزائر في جبهات الصراع المتقدمة للعالم الإسلامي بقيادة "الدولة العثمانية" ضد العالم

المسيحي بقيادة "الإمبراطورية الإسبانية" . كل هذا جعله من دون شك شخصية وطنية متميزة بسجلها الخاص من : ((الجهاد و التضحيات و الانتصارات الداخلية و الخارجية))، لم تنل حقها من الدراسة الأكاديمية الموثقة . خاصة وأن تواجد خير الدين و أخوه عروج على ساحة الأحداث في غرب المتوسط بداية من القرن 16م تزامن مع تبعات النكبة الأندلسية التي أفرزت بدورها واقعا "سياسيا – اجتماعيا" ساهم في تغير الأوضاع السياسية داخل المغرب العربي عموما و الجزائر على وجه الخصوص، فتشكلت على إثره ملامح الدولة الجزائرية الحديثة في بعدها المحلي ذات الإشعاع الإقليمي و الهيبة الدولية ، والتي اكتسبتها في الحوض الغربي للمتوسط في هذه الفترة بفضل وجود شبح خير الدين بربروس، الذي أرسى معالم دولة قوية كُتب لها أن تكون قوة عالمية فاعلة و مؤثرة على ساحة الأحداث لأكثر من ثلاث قرون تجاوزت في علاقاتها الدبلوماسية 300 معاهدة .

الكلمات المفتاحية : السيادة–الرابطة الإسلامية–الهيبة–الحنكة السياسية–المركز و الأطراف– الشورى–التمردات و الثورات.

Abstract The study of the pivotal role played by "Beylerbeyi Hayreddin Pasha" Algeria's acquisition of a unified political entity and the establishment of the borders of its modern State due to its attachment to the Ottoman Empire, and its efforts to eliminate internal rebellions and revolutions and to repel campaigns. Spanish "Riconquista", and his rescue of thousands of Andalusians fleeing the throne of the Spanish Inquisition, directly affected Algeria's entry into the advanced fronts of conflict for the Islamic world led by "The Ottoman Empire" against the Christian world led by the Spanish Empire, all of which undoubtedly made him a distinguished national figure with its own record of: (Jihad, sacrifices and internal and external victories), this distinguished historical figure did not gain her right from documented academic study. In particular, the presence of Hayreddin and his brother "Aroudj" on the scene of events in the western Mediterranean beginning in the 16th century coincided with the consequences of the Andalusian tragedy, which in turn created a reality "Politically - socially" contributed to changing political conditions within the Maghreb in general and Algeria in particular In the wake of these emerging situations, the features of the modern Algerian State in its local dimension with regional radiation and the international prestige it gained in the Western Basin of the Mediterranean in this period thanks to the presence of Commander "Hayreddin Barbros", which has built up the milestones of a powerful State that has been written to be an active and

influential global force on the scene for more than three centuries in its diplomatic relations, exceeding 300 treaties.

Keywords: Sovereignty, Islamic link, maritime power, political statesmanship, center and parties, collective consultation, rebellion and counter-revolutions.

مقدّمة :

إنّ الجزائري الحق ليس من ولد بأرض الجزائر و لكن من عاش لأجلها . فقد قادت رياح التغيير أشرعة سفينة **خير الدين بربروس** التي أقلعت مغامرتها من **جزيرة ميديلّي MIDILLI**[i] مرورا بموانئ حلق الوادي-بجربة- ثم بجاية و جيجل وصولا إلى ميناء المحروسة "مدينة الجزائر"، فحملت في طياتها بطولات و مطبات انعكست بصورة مباشرة على تغير الوضع السياسي بمنطقة شمال إفريقيا عموما و الجزائر على وجه الخصوص ، فتحول على إثرها حال المغرب الأوسط من مجرد حيز جغرافي يعيش فراغ سياسي تسوده الصراعات و الانشقاقات إلى كيان سياسي موحد أسس لمعالم دولة جزائرية حديثة فرضت هيبتها في مجالها المتوسطي بفضل تصدّرها لجبهات الصراع المتقدمة للعالم الإسلامي بقيادة "الدولة العثمانية" ضد العالم المسيحي بقيادة "الإمبراطورية الإسبانية الكاثوليكية".

فكان **البايلرباي**[ii] "خير الدين بربروسا"[iii] حامل بوصلة الأحداث التي شهدها مسرح البحر المتوسط في النصف الأول من القرن 16 م ، فتوج مجهودات أخيه المجاهد"**عروج**" أو " **أروج ORUç**[iv]" المتوفى صيف 1518م، حينما ربط خير الدين يده بيد السلطان العثماني" **سليم الأول** "[v] لتدخل بعدها إيالة الجزائر مرحلة الهيبة الإقليمية من خلال الرابطة الإسلامية-العثمانية.

و انفرت فترة حكم "خير الدين باشا" بكونها الحجر الأساس الذي رسمت من خلاله معالم السياسة الداخلية و الخارجية لإيالة الجزائر ، وما أفرزه هذا النظام المستحدث في التأثير على مناطق الجوار في كل من تونس و طرابلس الغرب خصوصا ، لتدخل مجبرة تحت هالة الإشعاع الإقليمي للجزائر التي اعتبرت في ذلك الحين **"ولاية إقليمية إستثنائية"**[vi] بفضل الفراسة و حسن التدبير الخططي و التعامل مع العنصر المحلي التي ميزت شخصية الرجل، فكانت صناعة الرجال ميزة عصره لإبقاء صمود الدولة سنين بعده . فنجح في صنع قادة من رياس البحر المتميزين الذين ساعدوه في إحكام سيطرته على الحوضين الأوسط و الغربي من البحر الأبيض المتوسط ، فكان لهم الفضل الوفير في تحرير و حماية الشعوب من التسلّط الصليبي في شمال إفريقيا كلها أمثال : **درغوث-Dragut"** و **سنان** و بيري رايس و **"أيدين رايس-Aydin reid"** و **قلج علي** و **حسن آغا** و **حسن بن خير الدين** وغيرهم من الذين حكموا داخل البلاد ونالوا رضى الأهالي و الأعيان و أغلب الزعامات المحلية[vii].

لقد تحكّمت النظرة التقليدية في أساليب ومناهج المختصين في الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر ، فحشر أغلبهم نفسه في زاوية التاريخ التقليدي القائم على جمع المعلومات و تحريرها و تسجيلها ثم عرضها في شكل أقرب إلى العرض الصحفي و الصياغة الأدبية ، فكانت أغلب مواضيعهم سرد للأحداث و تعريف بالوقائع و ليس تحليلا للأحداث .

ففي غياب المقارنة و النقد التاريخي تمكن هواة تاريخ الجزائر العثمانية الذين لا نلمس في كتاباتهم منظور تاريخي واضح المعالم و لا طريقة معالجة منهجية ، كما لا يهتمون بنشاط الحياة اليومية و النشاط البشري في مختلف مجالاته من أخذ زمام المبادرة و تصدر المشهد الثقافي العام بفضل مكانتهم في المجتمع و تمركزهم في المواقع المرموقة من أجهزة الدولة من جهة . و من جهة أخرى نرى بأن غياب **نخبة**[viii] تعي ذاتها و تعبر عن احتياجات مجتمعها من المحصول الحضاري التراكمي قد ساهم إلى حد ما في الخوض بعيدا عن الجدلية التاريخية التي ترى في الفعل التاريخي حصيلة تفاعل عوامل البيئة و الإنسان و الزمان، مما

يكسب التاريخ حركية تبعده عن الصورة الجامدة في الماضي[ix]. و تبعثه في صورة متجددة تفهم من خلالها آثار الحاضر التي تبنى عليها أطروحات المستقبل .

وبما أن كل جيلٍ يكتب تاريخه فإننا نعي حجم التطفل التاريخي الذي يعيشه تاريخ الجزائر في العهد العثماني. لذلك وجب أن نعرف المهتمين في الوسط برموز ارتبطت أسماؤهم بالوجه المشرق من تاريخ الجزائر الممتدّ عبر عصورٍ مديدة ، كان لخير الدين بربروس شرف كتابة أحد فصوله المشوقة.

و في هذا السياق ، كانت طرجمتي لشخصية الرجل و إسهاماته السياسة و العسكرية داخل وخارج الإيالة تتضمن الكثير من العمق التاريخي و البعد الاستراتيجي في خضم التحولات الاجتماعية و الثقافية التي ميزت ظروف المغرب الأوسط التي سمحت بتصدّر شخصه للأحداث، و تغييره لأحوال البلاد و ذهنيات العباد.

و باعتبار أن أهم شيء في التاريخ هو السؤال، كان لزاما علينا بعد هذه التلّميحات الأكاديمية أن نختم بأهم سؤال يتبادر إلى ذهن القارئ ويصب في نفس سياق الإشكالية الرئيسة : " حسب الظروف الإقليمية و الدّولية التي شهدها حوض البحر الأبيض المتوسط نهاية القرن الخامس عشر و بداية القرن السادس ميلادي. من كان بحاجة إلى الآخر أكثر **خير الدين** أم **الجزائر** ؟ ". وهنا لا نجيب بل نترك التاريخ وحده من يجيب بدأً ب:

1) إشكالية التأريخ لبداية تاريخ الجزائر الحديث بين المؤرخين "1518أو1519":

إن اشكالية بداية تاريخ الجزائر الحديث لاتزال تؤرق الكثير من المختصين الذين اختلفت مصادرهم في التأريخ للمرحلة ، ونسبة هذا الارتياب في الاختلاف لا يتجاوز عام واحد في أغلب المصادر التاريخية :

فنجد أن الأستاذ ناصر الدين سعيدوني يؤرخ لموت عروج في صيف 1517 أما الأستاذ كمال فيلالي فيأخذ أوت 1518 كتاريخ لوفاة عروج.

كما نجد أن الأستاذ ناصر الدين سعيدوني يؤرخ للحملة الاسبانية "هيجو دو مونكاده" في صيف 1518 أما الأستاذ مُحَمَّد دراج فيؤرخ لها بتاريخ 1519م .

ومنه تنشق الأراء حول بدايات التواجد العثماني بالجزائر و كذلك تاريخ الالحاق الرسمي للجزائر بالدولة العثمانية . وعليه نجد أن الأستاذ سعيدوني يؤرخ لبداية الفترة العثمانية الرسمية المحددة بتاريخ الالحاق صيف عام (924هـ/1518م)، أما الأستاذ دراج فيزيده **بعام واحد ميلادي** (924هـ/أكتوبر 1519م) حينما أرسلت عريضة طلب الإلحاق بالدولة العثمانية إلى استانبول[x].

2) مولده و نشأته :

إسمه : **خضر**، و اشتهر بلقب **بربروس** ، أي ذو اللحية الشقراء[xi]. و أطلق عليه السلطان سليم الأول لقب **خير الدين**[xii].

ولد **خير الدين بربروس** حسب ما جاء في الموسوعة الإسلامية TDVI.A في حدود 1472[xiii] بجزيرة ميديلّي **MIDILLI** بعد أخيه عروج بسنتين[xiv]، من أب تركي مسلم إسمه **يعقوب آغا**[xv] ينتمي إلى فرقة عسكرية يطلق عليها ((**السبايهية**[xvi])) ، تزوج أمه التي تنتمي إلى أهالي الجزيرة[xvii].

قبل التحاقه بأخيه **عروج** -بجربة- كان يشتغل في مطلع شبابه بالتجارة ، إذ كان لديه سفينة يتاجر بها بين سلانيك Selanik وأغريبوز[xviii] Agriboz. بعد أن فتح عروج أمام اخوته الثالثة أبواب المغامرة في البحر و لم يكد يعدو السنة العاشرة إلاّ قليل[xix](حينها كان خير الدين في الثامنة من عمره).

3) ظهور الإخوة بربروس على ساحة الأحداث في الحوض الغربي للمتوسط (1512–1518): "استقيت جل حيثيات المادة التاريخية لهذا العنوان المعبر عن مرحلة ما قبل الالحاق الرسمي بالباب العالي من ما: أورده الأستاذ ناصر الدين سعيدوني في كتابه تاريخ الجزائر في العهد العثماني .مع بعض التوضيحات الهامشية التي تزيد دقة المعنى وضوحا":

وهنا ارتبطت انجازات خير الدين بربروسة بأخيه الأكبر منه عروج، حيث بدأت أولى فصول رحلتهما في الحوض الغربي للمتوسط، عقب فوز سليم بن بيازيد بالعرش العثماني وتتبعه لأنصار أخيه قرقود المنافس له (915هـ/1509م) ، فكان لهذا الحدث دخل كبير في تحول جماعات من المجاهدين الأتراك وعلى رأسهم (عروج وخير الدين وإسحاق) الى غرب المتوسط حيث اشتهر أمرهم بجزيرة جربة [xx] ، وأصبحت لهم بعد انتقالهم إلى مرسى تونس"حلق الوادي" قوة بحرية مؤلفة من ألف بحار و عشر سفن، ورغم تعهدهم بإمداد الحاكم الحفصي بخمس الغنائم إلا أنهم أصبحوا مصدر خوف لرجال الدولة الحفصية، فتحولوا إلى ساحل بجاية بطلب من سكانها لإعانتهم على طرد الاسبان، وقد شجعهم على ذلك الأمير الحفصي ليبعدهم عن عاصمته، لكن عروج وجماعته لم يوفقوا في هجومهم على مدينة بجاية (918هـ/أوت1512م) فتحولوا إلى جيجل الواقعة إلى الشرق منها،واتخذوها قاعدة لهم (920هـ/1514م) بعد أن افتكوها بمعونة رجال القبائل من الجنويين الذين كانوا يحتلونها منذ مدة طويلة (658هـ/1260م) ثم أعادوا الكرة على بجاية في نفس السنة دون نتيجة في الوقت الذي بدأت علاقاتهم تتوتر مع الامير الحفصي أبي عبد الله مُحَمَّد (921هـ/1515م)،فتحولوا إلى الجزائر(922هـ/1516م) بطلب من الأهالي الذين رأو في عروج أخيه وصحبهما منقذين لهم من التبعية لملك اسبانيا الجديد شارلكان بعد موت فرديناند الخامس(922هـ/1516م)،على أن عروج و أخاه خير الدين وأنصارهما تعرضوا

لتآمر شيخ مدينة الجزائر سالم التومي الثعالبي،بعد أن فشلوا في الاستيلاء على قلعة رباط الخيل"البينيون" الاسبانية الواقعة على احدى الجزر قبالة مدينة الجزائر والتي كانت تهدد سكان مدينة الجزائر باستمرار، وقد سارع عروج إلى القضاء بعد ذلك على مناوئيه وأحبط غارة إسبانية بقيادة دييغو دو نافارا في خريف سنة(922هـ/1516م).وبدأ في عملية توحيد البلاد الجزائرية فتوجه أخوه خير الدين نحو المناطق الشرقية، وجعل قاعدته دلس واستولى على مدن :القل وعنابة وقسنطينة، وقد ساعده على ذلك أحمد بن القاضي أحد عمال الحفصيين الذين أقره خير الدين على حكم الجهات الجبلية شرق مدينة الجزائر فجعل مركزه قلعة كوكو بجرجرة "بلاد القبائل"، بينها توجه عروج نحو الغرب الجزائري فألحق شرشال وقضى على إمارة تنس بعد أن هزم حاكمها حميد العبد بوادي جر(923هـ/1517م) واستولى على مدينتي مليانة والمدية وبسط نفوذه على مناطق الشلف، وأبقى أخاه إسحاق مع حامية عسكرية بقلعة بني راشد لقطع المعونة عن الإسبان بوهران، بعدها توجه رأسا إلى تلمسان تلبية لنداء سكانها الذين استنجدوا به وبادروا إلى خلع حاكمهم الزياني المتعامل مع الإسبان أبي حمو الثالث، وتولية عمه أبي زيان أحمد الثاني فألحق عروج والقوة التي كانت ترافقه ومن انضم إليهم من الأهالي المتطوعين الهزيمة بجيش أبي حمو الثالث البالغ عدده تسعة آلاف رجل في صيف عام(923هـ/1517م) وعندها سارع الإسبان بإرسال تعزيزات عسكرية إلى تلمسان حيث تحصن عروج وجماعته، وبعد شهور من المقاومة بقلعة تلمسان" حصن العشور "حاول الانسحاب للالتحاق بالجزائر في ربيع عام(923هـ/1517م) ، لكنه اضطر إلى خوض معركة غير متكافئة مع القوات الإسبانية بقيادة الماركيز دي كومارس بالوادي المالح[xxi] نواحي عين تيموشنت انتهت بقتل عروج والقضاء على أنصاره في الوقت الذي قضت فيه قوات الإسبان وأتباع أبي حمو الثالث على الحامية التركية بقيادة إسحاق بقلعة بني راشد (923هـ/1517م).[xxii]

4) سبب وجود الأخوين بربروس في سواحل شمال إفريقيا :

إن سرد هذه الأحداث الملحمية و المعبرة عن مغامرة الأخوين تكاد ترسم صورة نمطية على واقع الحال المحلي للبلاد الجزائرية قبل الالحاق دون أن تعطينا إجابة واضحة المعالم، فالمتتبع لسير الأحداث في الدولة العثمانية على الأقل منذ جلوس السلطان سليم على عرش السلطنة، وقيامه بقمع أي حركة معارضة له، وتضييقه على أتباع أنصار أخيه الشهادة قورقود، يرجح أن عروجا وأخاه خير الدين رئيس لم يكونا يتطلعان إلى تأسيس دولة في شمال إفريقيا .بل غاية ما كان يطمحان إليه هو : القيام بواجب الجهاد ضد القراصنة الأوربيين في شرق البحر المتوسط، خصوصا وأن عروجا قد عاش بنفسه تجربة الأسر الطويلة عندهم، ولمس عن قرب ما يلقاه المسلمون من أذاهم .

كما أن الفراغ السياسي الذي تعيشه المنطقة كان له الأثر الكبير في تشجيعهم على الاستقرار بالجزائر. ولعل النتائج التي انتهت إليها تطورات الأحداث في الدولة العثمانية، والاضطهاد الديني الذي كان يعيشه المسلمون في الأندلس بعد سقوط آخر ممالكهم في غرناطة .بالإضافة إلى الاحتلال الإسباني لسواحل شمال إفريقيا، خصوصا الجزائر التي كانت خالية من أية قوة إسلامية جدية يمكنها أن تحمل مسؤولية الدفاع عن المسلمين وتحرير البلاد من الاحتلال الإسباني .إضافة إلى ما تحقق على أيديهم أي الإخوة بربروس من انتصارات عظيمة على الإسبان، دفعتهم إلى التفكير بشكل جدي في تطوير مشروعهم، ليتحول إلى تأسيس دولة حقيقية تكون تابعة للدولة العثمانية .وهو ما أشار إليه خير الدين في مذكراته بعدما تمكن هو وأخوه من الاستقرار في قلعة **جيجل**[xxiii] بعد تحريرها من الاحتلال الاسباني ومحاصرة بجاية مرتين كل هذه المعطيات وغيرها أقنعت الأخوة بضرورة تركيز جهودهم في هذه المنطقة الحساسة من العالم الإسلامي[xxiv]

لـ ومما أشرنا إليه نخلص إلى أن الفراغ السياسي والموقع الجغرافي المميز لعملية الجهاد البحري هي من ساهمت في تشجيع الإخوة بربروس على الاستقرار بالمنطقة وتكوين دولة تخدم تطلعاتهم الاستراتيجية .

5) دور خير الدين في إرساء معالم تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة(1512-1518):

تعتبر هذه الفترة تمهيدية لخير الدين قبل بسط نفوذه على المنطقة، ويؤرخ لهذه الفترة منذ أن شدّ ساعد أخيه عروج حينما التحق به في جربة 1512 م حينها بدأ التخطيط في مشروعهما الطموح، وانطلقا يغيران على السواحل والسفن المسيحية لإنقاذ مسلمي الأندلس فكان من أثر ذلك أن زادت سطوتهما و تضاعفت ثروتهما إلى حد كبير[xxv].

خاصة بعدما اتفقا(الأخوين) مع أميرها عبد الله مُحَمَّد بن الحسن الحفصي على أن يمنحهما ميناء حلق الوادي ليجعلوا منه قاعدة لهما مقابل أن يدفعا له خمس الغنائم التي يحوزان عليها.

شرع خير الدين في تنظيم غاراته على سواحل وسفن إسبانيا والبندقية وفرنسا والبابا وجنوة بالإضافة إلى تعرضه للسفن التجارية والحربية التابعة لكافة الدول الأوروبية التي لا تربطها معاهدة سلام مع الدولة العثمانية أو غيرها من الدول الإسلامية .فحاز من ذلك على غنائم هائلة، وأثار الرعب في سائر بلدان الساحل الجنوبي للبحر المتوسط .

كما اشترك مع أخيه في محاولات فتح بجاية ثم بدأ في عملية توحيد البلاد الجزائرية فتوجه خير الدين نحو المناطق الشرقية لمدينة الجزائر بعد 1516، وجعل قاعدته دلس واستولى على مدن : القل وعنابة وقسنطينة، وقد ساعده على ذلك أحمد بن القاضي أحد

عمال الحفصيين الذين أقره خير الدين على حكم الجهات الجبلية شرق مدينة الجزائر فجعل مركزه قلعة كوكو بجرجرة "بلاد القبائل".

لـ وهنا يظهر مدى دهاء الرجل في كسب تأييد العنصر المحلي[xxvi] و إشراك أعيان الجزائر في تسيير زمام أمورهم في المناطق الموحدة لتفادي الثورات الداخلية قبل إكتمال التأسيس الفعلي لدولتة المركزية الموحدة التي قدّر لها أن تعمر 300 سنة .[xxvii]

6) ارتباط خير الدين بربروس بتأسيس الدولة الجزائرية الحديثة (1518-1543):

- المرحلة الأولى (1519-1534) : وكانت مرحلة تهيئة الأرضية لبناء أسس الدولة الجزائرية القوية و ذلك، عبر القضاء على الثورات الداخلية و رد العدوان الصليبي الاسباني بعد وفاة أخيه عروج. بدأً بحملة هيكو دي مينكادا Hego de Mongada سنة1519 و تبعها بعشر سنوات حدث مهم تمثل في طرد الاسبان نهائيا من قلعة البينيون Kalesi Penou التي كانوا يحتلونها قبالة مدينة الجزائر سنة 1529[xxviii]. و بذلك اكتمل الاطار الجغرافي لدولة الجزائر في عهده ماعدا مدينتي بجاية و وهران اللّتان سيتحرران لاحقا :

أ- التصدي للحملات الاسبانية وتوحيد البلاد الجزائرية :

إن المشروع الضخم الذي كان عروج يقوم بإرسائه طيلة الست سنوات الماضية(1512-1518) كان على حافة الانهيار لو لم يتابع خير الدين السير على نفس الطريق بقوة ومهارة[xxix].و في ظل الظروف المحلية و الاقليمية و الدولية المتشعبة تظهر شخصية القائد، فلقد واجه خير الدين على اثر وصول خبر استشهاد أخيه عروج مخاطر على جبهات عدة تمثلت في : مؤامرات الحكام الحفصيين والزيانيين وعداء السعديين وكذلك في هجمات

الإسبان، فقد أعلن حاكم تلمسان العصيان عليه بتحريض من أبي حمو الثالث، وخرجت عن سلطته مدن تنس وشرشال، وجاهرت قبائل جرجرة بالعداء بقيادة ابن القاضي المتواطئ مع الأمير الحفصي أبي عبد الله مُحَمَّد و تعرضت مدينة الجزائر لحملة إسبانية بقيادة هيجو دو مونكاده (Hugo de Moncada)في صيف عام (924هـ/1518م) [أو 1519] ،وتأتي هذه الهجمات المتتالية في ظل اندثار قوة "اليولداش" من الأتراك و الأندلسيين في موقعتي واد المالح و قلعة بني راشد . لكن رغم كل هذه الصعاب استطاع خير الدين التصدي للحملة و إلحاق الهزيمة بها بتدمير 26 سفينة و قتل حوالي 3000 و أسر ما لا يقل عن 4000 رجل من الجيش المهاجم. لتبدأ بعدها إحدى أهم فصول توحيد البلاد الجزائرية تحت إدارة مركزية .[xxx]

لـ و قد أبانت هذه الحادثة عن مكسب جديد عبر عن بداية اللحمة الحقيقية في التصدي للأخطار الخارجية المشتركة و الدفاع عن إيالتهم التي تجمعهم :حيث تصدى خير الدين لهذه الحملة بقواته التركية والمحلية[xxxi].

وبعد فشل الحملة الإسبانية الأولى التي قادها هوجو دي منكاد على الجزائر جهزت إسبانيا حملة أخرى سنة1520 مكونة من 110 قطع بحرية، يقودها نائب الإمبراطور شرلكان على صقلية الأميرال فرديناند .إلا أنها منيت بهزيمة كبيرة عندما تعرض لها خير الدين بربروس بهجوم معاكس أثار الاضطراب في قيادة الأسطول الإسباني. وغدت السفن الإسبانية تصطدم ببعضها، وتتجه اتجاهات مختلفة.وأسفرت الحملة الفاشلة عن أسر القائد فرديناند مع ستة وثلاثين قبطانا وثلاثمائة بحار إسباني. غير الآلاف من الأسرى والسفن التي أغرقت أو استولي عليها[xxxii].

ب- القضاء على حركات التمرد و التصدي للحملات الخارجية :

قد كان الإسبان يعتبرون أخطر القوى الأجنبية التي تهدد الجزائر والوجود العثماني فيها . كما أن الزعماء المحليين وسلطاني تونس والمغرب لعبوا دورا كبيرا في إثارة مختلف حركات التمرد الشعبية ضد العثمانيين .إلا أن التصدي لهؤلاء جميعا لم يكن ليتحقق قبل تمتين الوحدة الداخلية، بإخضاع المناطق الخارجة عن الطاعة .ثم التفرغ لإجلاء الإسبان الذين ما زالوا يحتلون بجاية ووهران والمرسى الكبير .ويعملون على تحريض الزعماء المحليين على الثورة والتمرد .

وهكذا فإن خير الدين باشا ما إن تمكن من رد الحملتين الإسبانيتين على الجزائر، حتى توجه إلى تنس التي خرجت عن طاعته فور علمها بمقتل عروج .فلم يتردد سلطانها في الاستنجاد بالإسبان الذين قاموا بمساندته بخمس عشرة سفينة أرسلوها إليه .إلا أن خير الدين استطاع أن يتصدى لها، ويستولي على تنس[xxxiii].

وبعد تعزز مركزه استطاع خير الدين أيضا الإغارة على تونس بحرا للحد من عداء الحاكم الحفصي أبي عبد الله مُحَمَّد(926هـ/1520 م) وإلحاق الهزيمة بحاكم تلمسان أبي حمو الثالث الذي اضطر إلى قبول دفع ضريبة قدرت بعشرة آلاف دوكة ذهبية، وبذلك بسط خير الدين نفوذه على الجهات الغربية، لكنه اضطر إلى التحول مؤقتا مع أسطوله ورجاله إلى جيجل (926-931هـ/1520-1525م) أمام زحف قبائل جرجرة(زواوة) بقيادة **ابن القاضي**[xxxiv] على مدينة الجزائر، هذا وقد اهتم خير الدين أثناء وجوده بجيجل بتنظيم قوته وإعادة فرض سلطته على الجهات الشرقية، فأقر حاميات بمدن :القالة وعنابة والقل(927هـ1521 /م) وقسنطينة (938هـ/1522م)، وقد ساعده على ذلك تعلق السكان به وانضمامهم إليه واستياؤهم من تصرفات خصومه، وقد مكنه انشغال إسبانيا بثورة كومونيروس(Comuneros) (926-928هـ/ 1520-1526م) والآثار التي تركتها والتي ظلت تستغل البلاط الإسباني حتى سنة(932هـ/1526 م) من إعادة قوته

والزحف بها من جديد على مدينة الجزائر، فألحق الهزيمة بخصمه ابن القاضي الذي تحول السكان عنه ولقي مصرعه على أيدي أتباعه بثنية بن عائشة(933هـ/ 1527م) وأخمد بشدة تمرد أنصار الأمير الحفصي بقسنطينة(934هـ/1527م) وأثناء ذلك عمل خير الدين على تثبيت سلطته على كل الجهات الغربية بعد أن أعدم الثائر قرة حسن المستبد بشرشال وهزم قوة أبي حمو الثالث حاكم تلمسان وأرغمه على الاعتراف بالسلطة العثمانية ودفع ضعف الغرامة المفروضة عليه أي :عشرين ألف دوكة، فاشتهر أمره واعترفت بسلطته مناطق الجنوب الصحراوية، وتعهد له حاكم توغرت بالطاعة والتزم بدفع ضريبة سنوية له، وحتى يتمكن خير الدين من الاحتفاظ بمكاسبه بادر إلى تنظيم الإدارة المركزية بمدينة الجزائر وحدد صلاحيات الحامية الإنكشارية ونصب الديوان الكبير وأعطى صلاحيات للأعيان والأئمة وشيوخ الطرق الصوفية وقرب إليه الأعلاج والمورسكيين فكانوا خير مساعد للقياد الأتراك الذين أقرهم بالبلاد كما حاول تخفيض الجباية على السكان الذين اعترفوا بسلطته وأوقع العقاب الشديد بالقبائل المتمردة وسكان المدن المعادين له[xxxv].

ج- تدمير حصن البنيون و تصفية الوجود الاسباني بمدينة الجزائر :

عندما استقر الأمر لخير الدين، بعد قضائه على حركات التمرد والشغب التي قادها بعض من الزعماء المحليين ضد الأتراك، شرع يعد العدة لطرد الإسبان من مدينة الجزائر، وهو الهدف الذي كان السبب الرئيسي في قدوم الإخوة بربروس إليها بناء على دعوة أعيانها. فكان من الطبيعي أن يجعل طرد الإسبان الذين كانوا يحتلون الجزيرة المقابلة لمدينة الجزائر و أسسوا عليها قلعة "رباط الخيل"(حصن البنيونPenon) أول عمل عسكري يقوم به، باعتبارها كانت تشكل حجر عثر أمام تحركات أسطوله وعامل ضغط على المدينة التي كانت تحت المراقبة الدائمة للإسبان[xxxvi].

كان خير الدين على علم بالمصاعب التي كان يعاني منها الجنود الإسبان المتمركزون في القلعة، كما كان على يقين بأن تلك القلعة مادامت في يد الإسبان فإنهم يمكنهم استخدامها بفعالية كبيرة عندما يشاءون. ومن ثم فإنها رغم كل ما كانت تعانيه من مصاعب فقد كانت تشكل خطرا كبيرا على مدينة الجزائر.

ومن جهة ثانية فإن خير الدين كانت سفنه قد بلغت 20 سفينة، كما كان القباطنة ورؤساء البحر الذين يساندونه يملكون ضعف هذا العدد. مما يعني أنهم في حاجة ماسة إلى ميناء يمكنهم من الرسو فيه بدلا من ميناء جربة الذي يقع على مسافة بعيدة عن الجزائر، مما يحول دون الاستفادة منه في حال وقوع حرب في السواحل الجزائرية الوسطى أو الغربية. وهكذا أصبح طرد الإسبان من قلعة البنيون حتمية لازمة فرضها الواقع الجديد الذي تزامن مع الوجود العثماني في مدينة الجزائر.

وهكذا؛ ففي شهر مايو 1529 أرسل خير الدين إخطارا إلى قائد القلعة دون مارتن دي فرغاس *Don martin de vergas* يدعوه فيه إلى إخلاء القلعة ومغادرتها مع جنوده فورا. لكن قائد القلعة أجاب بالرفض. فأمر خير الدين بنصب المدافع والشروع في قصف القلعة.

دام القصف العنيف 20 يوما تمكنت المدافع العثمانية على إثرها من إحداث عدة ثغرات في سور القلعة. ثم شن البحارة العثمانيون بمساندة الأهالي هجوما عاما على القلعة من جميع أطرافها إلى أن تمكنوا من اقتحام القلعة، وقتل وأسر جميع من كان فيها من الجنود الإسبان.

بعد فتح قلعة البنيون وصل خير الدين الجزيرة التي كانت تقوم عليها القلعة بالبر عن طريق جسر من الصخور صار يحمل منذ ذلك التاريخ اسم «جسر خير الدين». ثم أمر بأن

توصل الجزر الصغيرة ببعضها في شكل دائري ذي فتحة واحدة. وهكذا تم إنشاء ميناء الجزائر الذي أصبح منذئذ مقرا لأسطول الجزائر. ولضمان حماية السفن الراسية في الميناء أمر خير الدين بناء ثكنة عسكرية وبرج للمراقبة عرف باسم برج الفنار.

لقد كان خير الدين يرمي من وراء تدميره لقلعة البينيون وبناء رصيف ميناء الجزائر إلى استخدامه للدفاع عن مدينة الجزائر، وقطع كل أمل للإسبان في العودة واحتلال مدينة الجزائر مرة أخرى[xxxvii].

-**المرحلة الثانية (1534-1543)** : و بدأت بتعيينه قبطان داريا أو قائدا عاما للأسطول العثماني من طرف السلطان العثماني سليمان القانوني عام 1534م ، وتميزت هذه المرحلة بعدم استقراره داخل حدود إيالة الجزائر نظرا لازدواجية المسؤولية الملقاة على عاتقه فجمع على إثرها حكم ولاية الجزائر(**بايلربايلك**)[xxxviii] و قيادة الأسطول العثماني في البحر المتوسط ضد التحالف الصليبي بقيادة إسبانيا الكثوليكية.

و في 1543م غادر خير الدين الجزائر نهائيا و بعدها بحوالي 3 سنوات توفي و دفن في ساحل بشكتاش عام 1546م[xxxix].

7) البعد الإقليمي لدولة أمير الأمراء:

إن الفراغ السياسي الذي شهدته المنطقة من عدم وجود قوة إقليمية في منطقة الصراع (شمال إفريقيا) يمكن التحالف معها، أو حتى الانضمام إليها لمواجهة الخطر الإسباني .فالمغرب كان مجزأ إلى وحدات سياسية صغيرة مستقلة عن الادارة المركزية أيام ضعف الدولة الوطاسية، فهو بذلك يعيش أزمات داخلية .وتونس رغم كونها كانت تعيش استقرارا نسبيا في السلطة .إلا أن سلطانها كان قد بلغ من الضعف ما جعله عاجزا عن فرض سلطانه على ما تحت يده من البلاد، فضلا عن أن يكون قادرا على حماية الجزائر .فقد احتل الإسبان

بجاية، وعنابة، ودلس، ومدينة الجزائر .وهي كلها كانت مدنا تابعة إداريا وسياسيا للدولة الحفصية خلال الفترة التي نقوم بدراستها .ومع ذلك لم يتخذ السلطان الحفصي أي خطوة جدية للدفاع عنها وطرد الإسبان منها .بل رأينا كيف أن تخوفه من انتصار الأتراك دفعه للامتناع عن تزويدهم بالبارود لتحرير بجاية التي كانت تدخل ضمن ممتلكاته .كما أن هذا السلطان لم يتردد في تحريض الزعماء المحليين على الثورة على خير الدين[xl].هذا ما انتبه له خير الدين حينما تعزز مركزه بالباب العالي فحاول بعث دولة ذات اشعاع اقليمي تقيه شر الاضطرابات و التمردات و التحولات الجيوسياسية المغربية و المتوسطية عموما. ولا يتم ذلك إلا بتوحيد الساحل الشمال افريقي تحت رايته و بإمرة رياس البحر من أصحابه الذين يعود اليهم الفضل في وضع أسس البنيان السياسي للجزائر في العهد العثماني ، فتبرز الجزائر كمجال جغرافي ذو اشعاع اقليمي في مواجهة التهديدات الإسبانية على طول السواحل المغربية في القرن 16م[xli]

وقد جعلت الدولة العثمانية من الجزائر ولاية ذات وضع خاص، فعرفت بناء على ذلك بنيابة الجزائر .ذلك لأن طبيعة موقعها وظروفها حولتها إلى قاعدة للوجود العثماني في غرب البحر المتوسطة.فصارت تبعا لذلك مسؤولة عن إدارة شؤون الحكم في طرابلس الغرب، في المرحلة الأولى من الوجود العثماني في شمال إفريقيا .كما أوكلت إليها مهمة إلهاء الإسبان عن المشاركة في حروب أوربا ضد الدولة العثمانية في المجر والنمسا، وذلك بالتصدي للعدوان الإسباني على سواحل شمال إفريقيا، وتأمين عمليات إنقاذ المسلمين في الأندلس[xlii].كل هذه المهام كان لابد من خير الدين أي يجد مخرجات لها تضمن استمرارية اشعاع دولته ولا يتم ذلك إلا بوجود قادة ممن تتلمذوا على يده و اقتسموا معه بطولات البحار بداية ب **حسن آغا**[xliii] :

- **حملة شارلكان**[xliv] **و أسطورة الجزائر المحروسة:**

في خريف 1541 قاد الإمبراطور شرلكان بنفسه حملة كبرى على الجزائر لكنها منيت بهزيمة منكرة، فقد فيها الإسبان معظم قطع أسطولهم، وصلت الحملة إلى ميناء الجزائر في 1541/10/19 ، بجيش قدّر من طرف المؤرخ (عزيزسامح إلتر) ب :" 16 سفينة شراعية،65 سفينة نقل عسكرية كبيرة تحمل 12.330 بحارا، و 23.900 جنديا بالإضافة إلى مئات القطع البحرية الصغيرة التي كانت ترافق الأسطول، وهي أكبر قوة عسكرية بحرية تشق عباب غرب البحر المتوسط في القرن 16م. حيث بدأت المعركة يوم 23 أكتوبر 1541م،حيث قاد تنظيم و إدارة الجيش الجزائري **حسن أغا** ، وشهدت مجريات المعركة يوم 25 اكتوبر منعرجا حاسما إثر هبوب عاصفة جوية ساعدت جيوش حسن لآغا على الهجوم و هزيمة شارلكان و جيوشه الذي إنسحب مع مساعده القائد الجنوي المشهور **أندريا دوريا**[xlv] ، مخلفا وراءه 4000 قتيل من الإسبان و 200 من المسلمين فقط بعد انتهاء المعركة في صبيحة 26أكتوبر 1541م[xlvi].

- هذا الانتصار عزز مكانة الجزائر الإقليمية في المتوسط وأرعب الطامعين في الإغارة عليها في ظل انشغال حاكمها الفعلي(خير الدين) في مهمة سلطانية قصد توسيع نفوذ الدولة العثمانية في البحر المتوسط. وبعد فشل حملة شارلكان 1541 بعث خير الدين لأعداء الجزائر المحروسة برسالة مفادها أن شخصية خلفائه من ورائه(حسن آغا) لا يختلفون عن شخصية القائد خير الدين في حسن تدبيرهم و تسييرهم للمعارك المصيرية .

8) إستراتجية "القبطان باشا" في تعزيز قوة المركز (الدولة العثمانية) و انعكاسها على هيبة الأطراف (إيالة الجزائر) في دولة أمير الأمراء .

- **بداية نيل الشرعية و المباركة السلطانية من الخليفة:**

بدأت مخططات خير الدين و أخوه عروج تأخذ منحى تصاعدي منذ أول اتصال بين الإخوة بربروس و الدولة العثمانية في 1516 وذلك عندما بعث عروج إلى السلطان سليم مع **بيري رئيس**[xlvii] بست سفن مثقلة بالهدايا العظيمة، كافأه وأخاه خير الدين بسيفين مرضعتين بالماس، بالإضافة إلى سفينتين حربيتين محملتين بالمعدات العسكرية التي كان في أمس الحاجة إليها .فسر الأخوان بذلك سرورا عظيما .وتعتبر هذه الاتصالات أول علاقة رسمية بين الإخوة بربروس والدولة العثمانية.و تبعته مباشرة في نفس السنة بعث السلطان سليم إلى الأخوين عروج و خير الدين بسفينتين حربيتين و اسلحة نارية ومعدات حربية حربية .كما أذن كما أذن لهما بأن يجمعا مايحتاجان إليه من الشباب المتطوعين من الأناضول[xlviii].وبذلك بدأت إرهاصات تأسيس الإيالة الجزائرية منذ أن أصبح سليم الأول الراعي الرسمي لنشاط الاخوة بربروس في الحوض الغربي للمتوسط في 1516.

ويعود السبب الرئيسي لدعم السلطان العثماني سليم الأول للأخوين عروج و خير الدين بربروس[xlix] أملا منه أن يكملا ما كان يقوم به **كمال رايس**[1] في أنقاذ الأندلسيين من بطش **محاكم التفتيش الإسبانية**[li] و **مشروع الاسترداد المسيحي(الريكونكيستا**[lii]).

- **تأسيس الإيالة في خضم الأزمة :**

وسط الانقلابات السياسية و التهديدات الخارجية بعد وفاة أخيه عروج ، ادرك خير الدين حراجة موقفه على إثر اتساع رقعة الصراع مع الاسبان من جهة، ومدى القدرة على بسط النفوذ على بلاد واسعة كالجزائر من جهة أخرى، كل هذا جعله يفكر في **إلحاق الجزائر بالدّولة العثمانية**[liii] للخروج من متاهات أزمته و لتثبيت وجوده السياسي[liv].

وفي هذه الظروف الصعبة استطاع خير الدين إقناع أعيان مدينة الجزائر بطلب الحماية العثمانية لإبعاد بلادهم عن الخطر الإسباني، فتوجه وفد عنهم بقيادة حاج حسين يحمل رسالة إلى السلطان سليم الأول تعرب عن رغبة أهالي مدينة الجزائر في الدخول تحت

طاعتـــه((الملحق الأول و الثـــاني))، ويتعهـــدون لـــه بـــذكر اسمـــه في الخطبـــة والســـكة، فقبـــل السـلطان سـليم هـذا العـرض، وأقـر خـير الـدين علـى الجزائـر برتبـة باشـا بكلـر بـك وسـارع بإرسـال قـوة مـن الإنكشـارية مؤلفـة مـن ألفـي جنـدي مـع العتـاد والمـؤن الضـرورية، وبـذلك تعـزز مركز خير الدين[lv] .

- **خير الدين مؤسس البحرية الجزائرية :**

إن الجيش الذي عرفته الجزائر في بداية العهد العثماني، كان في الواقع يتكون أساسا من رجال البحر ، إذ كان العثمانيون الأوائل، الذين دخلوا الجزائر في مطلع القرن السادس عشر من هؤلاء الرجال . ولهذا يمكن القول إن النواة الأولى للجيش الجزائري، كانت بحرية. ومنذ ذلك الحين، عرفت البحرية الجزائرية تطورا كبيرا من حيث عدد السفن والرجال . وقد يعتبر خير الدين أول من وضع أساسها، إذ جعل من ميناء الجزائر قاعدة بحرية هامة، وذلك بعد أن طرد الإسبان من صخرة "البنيون"، التي كانت تشرف على مدخل ميناء الجزائر، في عام 1529م. وكان خير الدين يدرك الدور الهام، الذي يمكن أن تلعبه البحرية في الدفاع عن السواحل الجزائرية ضد الاعتداءات الخارجية . فلهذا شيد كاسرة الأمواج لتأمين ميناء الجزائر من الغارات الخارجية، والتيارات البحرية. ويعتبر هذا الإنجاز من أهم الإنجازات التي حققها خير الدين، إذ سمح تحصين ميناء مدينة الجزائر للأسطول الجزائري، بأن يفرض هيمنته على البحر المتوسط أزيد من قرنين من الزمن. كما أن خير الدين وضع إستراتيجية محكمة، تمثلت معالمها في احتلال بعض الجزر في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، واتخاذ المدن الجزائرية الساحلية، مثل الجزائر، وجيجل، قواعد ينطلق منها أسطوله للإبحار ، ويلجأ إليها عند الضرورة. وقد سمح هذا التخطيط لخير الدين والرياس الذين جاؤوا فيما بعد بمواجهة الحملات الإسبانية ، وتحرير عدد كبير من الأندلسيين . فتحكمت طائفة الرياس بذلك، ابتداء من تاريخ وجودها في الجزائر، بطريقة شديدة الانتظام من حيث التوظيف والتنظيم والتمويل والعمليات الحربية.

وقد يعود اهتمام الجزائريين بالأسطول الحربي، إلى تلك التطورات التي طرأت على ساحة البحر المتوسط، ابتداء من أواخر القرن الخامس عشر وبداية السادس عشر، إذ كان الجزائريون يدركون جيدا أن تحرير سواحل إفريقيا من السيطرة الإسبانية والبرتغالية، وحماية أنفسهم من الاعتداءات الأوربية الصليبية، يحتم عليهم إعداد أسطول قوي يواجهون به الموقف الخطير. ولهذه الاعتبارات كلها، أولى الجزائريون من البداية اهتماما خاصا للقوة البحرية.[lvi]

وقد قدّر عدد السفن في عهد البايلربايات 1519-1587، بخمسة و ثلاثين سفينة من نوع غليوطة، وخمسة و عشرين أخرى من نوع فرقاطة، وعدد كبير من الزوارق المسلحة .[lvii]

- **البحرية الجزائرية تحمي الدولة العثمانية غرب المتوسط (استراتيجية خير الدين في ايقاف خطر اسبانيا غرب المتوسط لتتفرغ الدولة العثمانية لفتوحاتها شرقا)**

تظهر هذه الاهمية للجزائر بالنسبة الدولة العثمانية كون الجزائر أدرجت طوعا أو كرها كحليف استراتيجي في الصراع القائم غرب المتوسط. و بلغ هذا التحالف أقصاه في سفارة آيدين رئيس إلى إسطنبول، والتي هي إحدى السفارات التي كان خير الدين وبربروس يتبادل فيها الرؤى و الهدايا الاعتيادية مع السلطان القانوني منذ إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية . وواضح بالنظر إلى الظروف التي وقعت فيها هذه السفارة والمتوقع أنها كانت بعد تحرير قلعة البنيون سنة 1529 وقبل سفر خير الدين بربروس إلى اسطنبول سنة 1533 أو 1534 وتوليه للقيادة العامة للأسطول العثماني . أقول لقد كانت هذه السفارة تهدف إلى التنسيق بين الحملات التي كان يقوم بها السلطان القانوني ضد المجر والنمسا في شرق أوربا، والحملات العسكرية التي تضاعفت ضد إسبانيا في غرب المتوسط. وذلك من أجل تشتيت الوحدة العسكرية والسياسية لأوروبا. وسوف نرى أثر هذا التنسيق يتجلى بصفة أكثر بعدما تم تعيين خير الدين بربروس قائدا عاما للأسطول العثماني، والذي سيتوج لاحقا

بالانتصار الساحق الذي حققه الأسطول العثماني على التحالف الصليبي في معركة بروزة سنة 1538.[lviii]

- وهكذا أصبحت الجزائر بحق منذ عصر خير الدين جزء مهم من مشروع السلطان سليمان القانوني في أزهى مراحل الدولة العثمانية توسعا، لتقترن نجاحات الدولة العثمانية بغرب المتوسط بنجاحات الدولة الجزائرية على مدى قرون.

- **خير الدين على رأس الأسطول العثماني "الانتصارات البحرية للقبطان باشا خير الدين بربروس":**

ظهرت الحنكة العسكرية في الحروب البحرية لخير الدين منذ ان نجح في القضاء على تمرد يحي الثابتي الزياني الذي ثار على عمه بتأييد من الاسبان في صراعه على العرش ، فبعث أهالي تنس عروج يرجون مساعدتهم ضد أميرهم الخائن حينها بعث إليهم أخوه خير الدين على رأس حملة عسكرية بحراً في 1518. وعندما وصل خير الدين إلى سواحل تنس لجأ الاسبان إلى القلعة متحصنين بها. فاستولى خير الدين على المدينة، وضرب حصارا على القلعة. إلاّ أن الثابتي لم يلبث أن لاذ بالفرار تحت جنح الظلام بمن معه من الجنود الاسبان[lix].

وقد علم خير الدين منذ وفاة أخيه عروج أن السبيل الوحيد لتأسيس دولته و توحيدها و تعزيز قوتها داخليا و خارجيا يكمن في تنامي قوة الدولة العثمانية و حسن ارتباطه بها باعتبارها تمثل **ظاهرة متوسطية**[lx] فعمل على تصدره لجبهات الصراع العثمانية في البحر المتوسط عبر قيادته للأسطول العثماني :

ففي سنة 1534 عينه السلطان سليمان القانوني **قبطان داريا**[lxi]، ووواليا عاما الجزائر برتبة بيلرباي[lxii]. فقام بإصلاح دار بناء السفن في إستانبول وأعد أسطولا كبيرا أغار بثمانين قطعة منه على روجيو، وسبير لونكا، وفودي Reggio، Fodi ،Sperlonga وغيرها من المدن الممتدة على طول الساحل الإيطالي الجنوبي ثم استولى بعد ذلك على تونس بعد فرار سلطانها مولاي الحسن .لكن الإمبراطور الإسباني شرلكان تمكن من احتلال تونس، وإعادة مولاي الحسن على العرش .في 1538 استولى بأمر من السلطان سليمان القانوني على 20 جزيرة من الجزر الواقعة على بحر إيجة، وإلحاقها بالدولة العثمانية .

شعرت الممالك الأوربية برعب شديد من الغارات التي يشنها خير الدين على سواحلها وجزرها وسفنها، فعقد شرلكان هدنة مع ملك فرنسا فرنسوا الأول، وتنادت الممالك الأوربية لعقد تحالف صليبي كبير اشتركت فيه إسبانيا والبابا و البندقية، والبرتغال .فأعدت حملة مكونة من 600 سفينة حربية، وسفينة دعم . قادتها إلى أندوريا دوريا Andrea Doria . فاستعد خير الدين لمواجهة التحالف الصليبي بأسطول مكون من 122 سفينة، ثم اشتبك معه في معركة كبيرة في خليج **بروزة Preveze**[lxiii] انتهت بهزيمة ثقيلة للتحالف الصليبي، واستيلاء خير الدين على 36 سفينة، و 2.175أسيرة .فكان من أهم نتائج هذه المعركة سيطرة العثمانيين على البحر المتوسط[lxiv].

- هذا الفوز عزز مكانة الدولة العثمانية(قوة المركز) بفضل مهارة خير الدين البحرية و العسكرية ، وهذا ما سينعكس على تنامي هيبة إيالة الجزائر باعتبارها طرف مهم في جبهات الصراع المتقدمة للعالم الإسلامي بقيادة "الدولة العثمانية" ضد العالم المسيحي بقيادة "الإمبراطورية الإسبانية" على الساحة المتوسطية ، وهذا راجع لكون قائد الأسطول العثماني في أزهى مراحله هو نفسه بيلرباي الجزائر .

9) التنظير الاجتماعي و الاكتفاء الحضاري في دولة أمير الأمراء:

لعل القبول العام في الأوساط المختلفة الذي جسدته فترة ما قبل الالحاق (1512-1518) كان له بالغ التأثير في نفوس الأهالي و زعماء القبائل لتهيئة الارضية الصلبة للالحاق و نيل القبول و الرضى وبذلك يتحقق الاستقرار منذ أن : بدأ الأخوين استراتيجياتهما المشتركة باستمالة الاهالي و زعماء القبائل اللذين رأو في الإخوين بربروس حبل نجاة لمعاناتهما من البطش الصليبي و يذكر عبد الرحمان الجيلالي في هذا الباب: أن فتح جيجل وكذا محاولات فتح بجاية تم بمساعدة الشيخ أحمد بن القاضي الذي كان زعيما للقبائل البربرية في جبل كوكو[lxv].و ما يعزز هذا الموقف ايضا هو ما أشارت إليه الاحصائيات المسجلة سنة 1518 حول لعدد الجنود التي كانت مرابطة في حامية عسكرية تصدّت للحملة الاسبانية بقيادة مارتين دي أرغوت Martin de Argote بقلعة بني راشد حيث كان اسحاق رئيس أخو خير الدين مكونة من 900 تركي فقط و 2.000 جزائري[lxvi]. كدلالة واقعية للقبول و الرضى بين الأهالي[lxvii]، وكذا إيمانهم بل واحتضانهم للمشروع المهيأ من طرف الاخوين .

ونجد ايضا أن تنظيره الاجتماعي و الحضاري في تشييد دولته بدأ يظهر جليا بعد نجاحه في إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية عبر إنقاذ 70.000 من المهاجرين الأندلسين،ونقلهم الى الجزائر، فنتج عن ذلك أن ازدهرت مدينة الجزائر بفضل مهارة الأندلسيين الذين نقلوا إليها فنونهم وصناعاتهم، وبفضل الغنائم التي كانت تجنيها من غزوات البحر[lxviii].

- وهنا وضع خير الدين بحق اللبنة الأولى لنقل الزخم الحضاري و الحرفي للأندلس إلى دولته أملا منه أن تصبح ذات إشعاع حضاري تلبي تطلعاته المحلية و الإقليمية في الحوض الغربي للمتوسط.

كما نجده قد سعى إلى تعزيز هذه اللّحمة بين السكان و شخصه حينما أظهر الجانب الإنساني-الاسلامي في شخصية الرئيس :

في هذه السنة[lxix] قمت بجمع يتامى وأبناء وبنات فقراء مدينة الجزائر وضواحيها اللاتي بلغن سن الزواج. فقمت بتختين الأطفال وتزويج البنات، كما أعطيت كل واحد منهم ما يحتاج إليه من المال. وأمرت بإعطاء مساكن لمن لا بيوت لهم وتشغيل العاطلين عن العمل منهم.

لقد كنت موقنا بأن الله يكافئ عن كل إحسان نقوم به بأضعاف ما نبذله. لقد رأيت هذا وعايشته بنفسي طيلة حياتي. فكلما أنفقت من ثروتي شيئا كان الله يعجل بأضعاف مضاعفة لما أنفقه في سبيله[lxx].

10) دروس ووقفات من حياة خير الدين بربروس "مواقفه السياسية و إستراتيجياته العسكرية أنموذجا" :

- سرعة البديهة في تقييم الأمور و أخذ القرار الصائب في أول مواجهة مباشرة مع الاسبان:

تولى خير الدين القيادة عن أخيه (عروج) المصاب اصابة بالغة في ذراعه اليسرى . لكنه لما رأى كثرة جراحات أصحابه ، وسقوط عدد كبير منهم شهداء، أصدر أوامره بالانسحاب.فركبوا سفنهم ثم انسحبوا مبتعدين عن القلعة، بينما استمر الاسبان في قصفهم بنيران مدافعهم و بنادقهم من أسوار القلعة.

تمكن الأتراك من الوصول إلى تونس في 14 سفينة. حيث تمت مداواة الجرحى، إلا أن إصابة عروج البليغة اضطرت الأطباء إلى قطع ذراعه اليسرى.

لم يتمكن الإخوة بربروس من تحرير بجاية في هذه المحاولة، ولكن الذي تمكنوا من إنجازه هو اختبارهم لمدى قدرتهم على التصدي للإسبان، بل ومهاجمتهم في حصونهم التي يحتلونها. كما أثارت هذه المحاولة

– رغم فشلها– إعجاب زعماء القبائل البربرية الذين لمسوا عن قرب شجاعة الأتراك وكفاءتهم القتالية وانضباطهم العسكري. مما كان له أثر كبير في تحفيز أهالي المدن الجزائرية المحتلة إلى أن يرسلوا وفودا إلى الإخوة بربروس تدعوهم للتدخل لتخليص مدنهم من الاحتلال الإسباني[lxxi] .

- وهنا نجده في أول مواجهة مباشرة للإسبان أبان خير الدين عن شخصيته القيادية على ساحة المعركة رغم أنه تسلم زمام القيادة في ظروف صعبة–على اثر اصابة عروج بجروح بالغة– فأبان عن حنكته في تسيير المعارك المفاجئة عبر اختياره لأهون الشرين بعد اسراعه في تقييم الأوضاع المحيطة به للخروج بأقل الأضرار وهو الانسحاب خوفا من فقدان كل جيوشه. ولكن رغم هذا نجد أن خير الدين أعاد الثقة للأهالي في سعيهم للتخلص من بطش الإسبان، بعد أن نجح من تكسير بعض من حصون الاسبان والاستيلاء على ثلاث سفن في بداية اشتباكه مع الاسبان على ساحل مدينة بجاية[lxxii].

– **الإفصاح عن الحنكة العسكرية في المواجهة و التموين و الجوسسة:**

لقد أبان خير الدين عن حنكته العسكرية في وقت مبكر من التحاقه بالجزائر فبعد حصار بجاية : حيث صرح خير الدين بأنه في الوقت الذي كان فيه عروج في طريقه إلى الجزائر، توجه هو إلى تونس حيث قابل السلطان الحفصي وعاتبه على عدم تزويده لهم بالبارود في أثناء حصار بجاية. كما أن المصادر التركية أشارت إلى أنه تصدي للحملة العسكرية الفرنسية التي وجهتها فرنسا إلى بنزرت وحلق الوادي مستغلة غياب عروج عنها[lxxiii].

كما أن خير الدين أبان عن تطبيق استراتيجية التموين بعد اتخاذه تونس كقاعدة خلفية في ظل نفاذ الأسلحة و الذخيرة بعد حصار بجاية : وقد ذكرت بعض الروايات أن عروجا حينما وصل إلى مدينة الجزائر توجه إلى قلعة شرشال التي تبعد عن المدينة حوالي 150 كلم ففتحها، وترك بها حامية ثم عاد إلى الجزائر فدخلها. ثم لم يلبث أن لحق به أخوه الأكبر

إسحاق رئيس على رأس أربع قطع بحرية مشحونة بالرجال و العتاد، ومزودة ب15 مدفعا بعثها إليه أخوه خير الدين رئيس من تونس[lxxiv].

كما نجد أن استراتيجية تخليف الحميات العسكرية تتجدد بعد الالحاق أيضا كأسلوب لفرض النظام و لضمان عدم تمرد مرة أخرى، حينما وضع حامية عسكرية لحراسة تنس من الاسبان بعد ما أخضع تمردها الذي ظهر بعد مقتل عروج مباشرة[lxxv].

وبدأ تخطيطه العسكري عالي المستوى يظهر عيانيا في استراتيجيته التي ألف بها بين أجنحة جيشيه المتكون من قوتين مختلفين تماما (قوة تركية و محلية) في فترة وجيزة، ويظهر هذا حينما تصدى لحملة "هوجو دي منكاد" سنة 1519 . و يتجسد هذا الدهاء العسكري مرة أخرى بعد أن نجح في استدراج الاسبان للنزول الى البر. ثم مفاجأتهم بقطع خطوط إمدادهم الخلفية مستغلّين الاضطراب الذي أصاب الإسبان بسبب تأخر وصول قوات أبي حمو الزياني ، والاختلاف الذي نشب بين قائد الحملة ونائبه. فانتهت الحملة بهزيمة كبيرة أجبرت الإسبان على الفرار مخلّفين وراءهم آلاف الأسرى والقتلى.[lxxvi]

وجاء تفعيل نظام الجوسسة لدى خير الدين في السياق الذي تعرضت له مدينة شرشال لحملة عسكرية بقيادة البحار الجنوي أندريا دويا و بأمر من الملك الاسباني شارلكان حينما صرح في مجلسه :

((لقد جعلتموني مسخرة بين الملوك، فليس فيكم من يستطيع التصدي لبربروس...))

بهذه العبارات عنف ملك إسبانيا قادته وأميرالاته..

هنا جثا الأميرال الجنوي أندريا دوريا الذي كان حاضرا في ذلك المجلس على ركبتيه أمام الملك وهو يقول:

((اطمئن يا مولاي سوف أمضي بسرعة وأحضر هذا المدعو ***بربروس عدو المسيحية*** مقيدا بالسلاسل بين يديك، وحينها لك أن تأمر بقتله لكي تلحق روحه الخبيثة بروح أخيه عروج المستقرة في **قعر جهنم**...))

عندما سمع الملك هذه الكلمات تهلل وجهه. لقد جعلته ثقته الكبيرة في أندريا دوريا يعتقد بأن هذا الجنوي يمكنه أن يفعل شيئا ما.

بلغني ما جرى في هذا المجلس على جناح السرعة. لقد كان **جواسيسي** المنتشرين في شتى المدن الأوربية يحيطونني علما بكل صغيرة وكبيرة تحدث. وبإزاء هذا كان الجواسيس الذين يعملون لحساب النصارى منبثين في الجزائر وغيرها من المدن الإسلامية. وهم أيضا و كانوا يزودونهم بكافة المعلومات التي يحتاجون إليها.

وحتى لا تتسرب أية أخبار من الجزائر كنت أتصرف بشكل طبيعي وفي غاية الحذر. إلا أنه كان في حكم المستحيل منع تسرب الأخبار المتعلقة بتحركاتنا العسكرية التي تجري في **مرسى الجزائر الذي كان يعد من أكثر المراسي التجارية النشيطة في العالم.**[lxxvii]

لـ هنا في سياق الأحداث التي رواها خير الدين حول تفعيله لنظام الجوسسة نستخلص ثلاث نقاط أساسية عبرت عن روح العصر الذي جرت فيه الأحداث:

أولا: الصراع الديني بين الاسلام و المسيحية الذي جسدته ردت فعل أندريا دوريا بقوله : ((...***بربروس عدو المسيحية***... **قعر جهنم**.))

ثانيا: النفوذ الجيوسياسي و الاستخباراتي الذي كانت تتمتع الجزائر به في مختلف الدول الأوروبية، وهذا ما صرح به صانع هذه الأحداث خير الدين بربروس :... لقد كان **جواسيسي** المنتشرين في شتى المدن الأوربية يحيطونني علما بكل صغيرة وكبيرة تحدث..

ثالثا: التفاعل الاقتصادي الذي كان يعرفه ميناء مدينة الجزائر في عصر التجارة و الوساطة على رغم القطيعة الثقافية و الصراع الديني المميزين لهذا العصر : ... **مرسى الجزائر الذي كان يعد من أكثر المراسي التجارية النشيطة في العالم.**

- **الصرامة في بداية تأسيس الدّولة:**

يذكر خير الدين في مذكراته في أحداث متفرقة وقعت له و لأخيه بعد 1516 :" ثم وصلني كتاب آخر من أخي عروج يأمرني فيه بإلقاء القبض على أحد شيوخ العرب المنافقين، فخرجت في الحال في خمسمائة بحار إلى الجبال حيث ألقيت القبض على الشيخ المنافق، وأمرت بضرب عنقه وعينت شيخا آخر بدلا عنه". ثم يعلق مُحَمَّد دراج مترجم هذه المذكرات : " لم أستطع التعرف على الشيخ المشار إليه هنا. فلعله يعني به أحد زعماء القبائل المحليين الذين كانوا يحرضون على التمرد كلما أحسوا بفقدان بعض مصالحهم الشخصية. كما أن خير الدين لم يذكر سبب إعدام هذا الشيخ بخلاف غيره من الزعماء المحليين الذين أعدموا بسبب تمردهم أو تواطئهم مع الإسبان كما سيأتي ذلك في ثنايا هذه المذكرات. وكيفما كان الأمر، فإن القارئ يلاحظ أن هذه أول حركة تمرد على الأتراك خارج مدينة الجزائر . وسوف تتلاحق حركات التمرد التي يقوم بها الزعماء المحليون لأسباب مختلفة، معظمها يكون الدافع لها فقدان هؤلاء الزعماء لبعض نفوذهم أو امتناعهم عن الخضوع للدولة الناشئة التي يحاول الإخوة بربروس تأسيساها في الجزائر بعد سنوات طويلة من التمزق السياسي."[lxxviii]

و سنلاحظ فيما بعد أنه سيطبق حكم الاعدام أيضا أمير تنس ابن أخ سلطان تلمسان أبو حمو الثالث الزياني بعد أن فضّل التمرد و التعاون مع الكفار الاسبان للبقاء على عرشه المتهالك.[lxxix]

- **الانتهاء من تحصين دولة المدينة :**

استقر الأمر نهائيا لخير الدين بالجزائر عندما تمكن من انهاء الوجود الإسباني بقلعة"رباط الخيل" (حصن البنيون LE PENON D'ALGER) . بعدها تم ربط القلعة بالمدينة عن طريق رصيف استخدم فيه بقايا أنقاض الأبراج الإسبانية فكان أساس تكوين ميناء الجزائر الذي استكملت تجهيزاته وأقيمت أبراج الحراسة حوله من طرف الأسرى الإسبان في فترة وجيزة (936-938هـ/1530-1532م) وبذلك أصبحت مدينة الجزائر طيلة العهد العثماني من الموانئ الحصينة والمراسي التي تتوفر على دار لصناعة السفن (ترسانة).[lxxx]

- وعلى اثر سقوط البنيون كسرت شوكة الاسبان المغروسة في قلب الجزائر، تمكن خير الدين أخيرا من تحصين مدينة الجزائر مركز دولته الناشئة ، هذا ما مكن الجزائر من أن تصبح القوة الضاربة الاولى في غرب البحر المتوسط. فزرعو الرعب و الفزع في قلوب النصارى. و أصبحت الجزائر تراقب جميع الطرق البحرية الكبرى في المتوسط حتى أصبح شاركان يجد صعوبة بالغة للسفر من برشلونة إلى نابولي.منذ ذلك التاريخ أعادت مدينة الجزائر هيبتها كعاصمة للجهاد بعد أن أصبحت القسطنطينية عاصمة للإسلام، اسطنبول.[lxxxi]

11) البعد الديني في استراتيجية خير الدين العسكرية و السياسية من خلال مذكراته:

يتجسد هذا البعد الروحي الاسلامي في مذكراته و تحديدا في سياق حديثه و اتخاذه للقرارات السياسية و العسكرية، و نلتمس ذلك من خلال المصطلحات الدينية المتكررة في مختلف مواقف الحياة و التي تسردها لنا أحداث ووقائع هذه المذكرات منذ أن وطأ أرض الجزائر .

كما أن هذه المصطلحات ذات الطابع الديني المستعملة في سياق الأحداث تبرز لنا طبيعة الصراع الديني الذي احتضنه حوض البحر المتوسط منذ سقوط غرناطة بين صليب العالم المسيحي ممثلا باسبانيا و هلال العالم الاسلامي ممثلا بالدولة العثمانية ،حيث كانت الجزائر في خضم تحولات موازين القوى العالمية تتصدر جبهات هذا الصراع العالمي بمقوماتها الجيوسياسية-الاقليمية.

بدء بما اتفقا عليه هو و أخوه عروج قبيل التوجه الى تونس : ((مادام الموت هو نهاية كل حي فليكن في سبيل الله)).كما أنهما صرحا حين أتيا تونس و دخلا على السلطان العثماني وقدّما له الهدايا: ((نريد أن تتفضل علينا بمكان نحمي فيه سفننا بينما نقوم بالجهاد في سبيل الله و سوف نبيع غنائمنا...)). ثم تبعته حادثة قطع ذراع عروج الني بكى فيها خير الدين بحرقة كبيرة، حينها قال له عروج : ((لماذا تبكي؟ هذا قضاء الله و قدره. إني أحمد الله على أني فقدت ذراعي في الغزو.تكفيني هذه النعمة)).

ونجد أيضا أن هذا البعد يتجلى مجددا في أحد مهامهم لإنقاذ الأندلسيين الذين وصفوهم بإخوانهم في الدين ضد الكفار الاسبان ، وفي هذه الأثناء وصل وفد من مدينة بجاية الجزائرية حاملا رسالة تكرس هذا البعد المعبر عن روح العصر، وقد جاء فيها :

((إن كان ثمة مغيث فليكن منكم أيها المجاهدون الأبطال. لقد صرنا لا نستطيع أداء الصلاة أو تعليم أطفالنا القرآن الكريم لما نلقاه من ظلم الإسبان. فها نحن نضع أمرنا بين أيديكم. جعلكم الله سببا لخلاصنا بتسليمه إيانا إليكم، فتفضلوا بتشريف بلدنا وعجلوا بتخليصنا من هؤلاء الكفار))

كما أنهم كانوا يبدؤن هجومهم البحري مرددين صيحات التهليل و التكبير . وكان يصف انتصاراته بأنها تأييد من الله لأوليائه المجاهدين.

وقد ذكر في أحد فصول مذكراته أيضا أنه بعث سفنا بقيادة أيدين رئيس الى اسطنبول للقاء السلطان سليمان القانوني، وقد كان ضمن الوفد المكون للسفن أئمة أكرمهم السلطان آنذاك بمائة دينار .

و قد أعطى آخر صورة تجسد جليا البعد الديني في شخصيته المتكاملة متمثلة في حسن ظنه بالله حينما أخبرنا في مواقفه بحكمة مفادها أنه: كان موقنا بأن الله يكافئ على كل احسان نقوم به بأضعاف ما نبذله. لقد رأيت هذا وعايشته بنفسي طيلة حياتي. فكلما أنفقت من ثروتي شيئا كان الله يعجل بأضعاف مضاعفة لما أنفقته في سبيله[lxxxii].

الخاتمة:

اكتمل تأسيس كيان الدولة الجزائرية في بعدها المحلي و اشعاعها الاقليمي و الدّولي في فترة زمنية وجيزة، قد تميزت و تمايزت في هذه الفترة المهمة من تاريخها بخصائص عكست الأوضاع التي عاشتها المنطقة المتوسطية في صراعها الديني و بعدها الجيوسياسي، فتفاعل معها الجزائريون والأتراك العثمانيون على حد سواء في محنة أندلسية وحدّت شتات المسلمين ضد صليب الإسبان من أرض الجزائر.حينها اقتضت الضرورة التاريخية أن يوجد **حل في التاريخ** على حد تعبير **جيامباتيستا فيكو vico Giambattista** : حل يجدد الحياة فتنبعث الأمة بفكر خلاق أو بزعامة واعدة كان لخير الدين بربروس بشخصيته القيادية نصيب الأسد منها، في بداية السير نحو أن تحقق الأمة الجزائرية ذاتها . وقد أوصلنا هذا البحث إلى جملة من الاستنتاجات نلخصها كالآتي:

1-إلحاح و توسل أعيان و علماء مدينة الجزائر لخير الدين على تولي إدارتها وتفضيله على العنصر المحلي الأصلي من البيت الزياني أو الحفصي لتميزه بصفاة القيادة وهذه لشهادة تلغي الأسطوانة الفرنسية-الإستشراقية حول الاستعمار التركي للجزائر.

2-فعل الرابطة الإسلامية المتينة في التواصل الحضاري بين ضفتي المتوسط من خلال إنقاذه للأندلسيين المضطهدين و إجلائهم إلى حواضر الجزائر خصوصا "البعد الإسلامي في قيام الدولة الجزائرية الحديثة".

3-ركز اهتمامه على بناء دولة جزائرية ذات بعد اقليمي فعلي بحدودها المطاطية و يتجلى ذلك من خلال تدخله في الحماية المتكررة لتونس من الغزوات الصليبية الإسبانية.

4-اهتمامه بما يحيط به من التحولات السياسية في المغرب و تونس و حجم التحديات الداخلية المتمثلة في تخاذل الزعمات المحلية و تحالفها مع الإسبان في الكثير من الأحيان و حبك المؤامرات ضده جعل مشروع دولته يؤسس على بصيرة وحدّت إمارات و قبائل هذا البلد الكبير .

5-بتأسيس إيالة الجزائر على يد "خيرالدين بربروس" انعكست انتصاراته و سمعته في المتوسط التي اكتسبها منذ بداية القرن 16م على هيبة الدولة الجزائرية واستمر إشعاعها حتى بعد وفاته.

6-التوفيق بين إخماد الثورات الداخلية المتولدة باستمرار و تركيز الجهود على الجهاد البحري في غرب المتوسط لدليل صريح يؤهله ليحمل صفة "رجل الدوله المتمرس"

7-توافق الرؤى السياسية لبايلرباي الجزائر "خير الدين باشا" مع السلطان العثماني "سليمان خان" جعل إيالة الجزائر أهم إيالة عثمانية في المتوسط.

8-بتحطيمه لحصن"البينيون penon" في 1529م بعد قصف دام 20 يوما تم كسر شوكة الإسبان في مدينة الجزائر تمهيدا لطرهم نهائيا من الجزائر 1792 م .

9-آثار انتصار القبطان داريا "خير الدين بربروس" في معركة "بروزة preveze"سنة 1538 مكنت الأسطول الجزائري من فرض سيطرته على غرب البحر المتوسط إلى غاية 1571م.

10-إعداده لقائد حزم يخلفه دليل على صدق نية الرجل في استمرار مشروع بناء الدولة الجزائرية الحديثة من بعده و يتجسد هذا في: (نجاح حسن باشا بن خير الدين الذي كان نائبا عنه في رد الحملة الصليبية لشارلكان 1541م) .

الهوامش :

1. [i] -**جزيرة ميديللي**: تم فتحها في عصر السلطان مُحَمَّد الفاتح، وترك بها حامية عثمانية، والتي كان ضمن أفرادها يعقوب آغا والد الإخوة بربروس . وهي تابعة الآن لليونان .
2. مؤلف مجهول ، مذكرات خير الدين بربروس، تر و تع : مُحَمَّد دراج ، ط2 ،الأصالة للنشر و التوزيع ،1434هـ/2013م ،ص 21
3. [ii] -**البايلرباي Beylerbeyi**: هو الوالي العام المسير للإيالة الذي له سلطة مطلقة على الولات المحليين يحمل لقب : بكلربك (بايلر باي) أو الوزير كما صار يعرف فيما بعد ، وهو يمثل السلطة العثمانية في ولايته و يشرف على جميع الأمور المدنية و العسكرية ، و يتمتع بصلاحيات مطلقة في ذلك ، ماعدا المسائل القضائية و الشرعية التي كانت خارج سلطته .
4. : مُحَمَّد دراج ،تأسيس إيالة الجزائر ،(ب.ت) ص 30.موقع المقال :https://www.asjp.cerist.dz/en/article/94017
5. -يلقب أيضا بأمير الأمراء وهو من أعلى المناصب في الدولة العثمانية وكان يوجد في العهود الأولى من الدولة العثمانية بايلرباي واحد كان مسؤول عن الجيش وما يتعلق به من أمور وكان نافذ الكلمة يأتي بعد السلطان مباشرة، ولما توسعت الفتوحات العثمانية في أوروبا انقسم هذا المنصب الى **قسمين بايلرباي الأناضول وبايلرباي الروملي** وكانوا يعينون ولاة على الولايات وقوادا على الجيش وكانت لهم اقطاعات مالية كبيرة .
6. : سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،2000 ص 64
7. [iii] -**خير الدين** : إسمه "خضر"،اشتهر بلقب "**بربروس**"، أي ذو اللّحية الشقراء. وأطلق عليه السلطان سليم الأول لقب **" خير الدين"** . ولد في حدود سنة 1472 بجزيرة ميديللي بعد أخيه أوروج رئيس ،اشترك مع أخيه في محاولات فتح بجاية ، فكان بذلك مع أخيه واضع أسس بناء الدّولة الجزائرية التي قدّر لها أن تعمر 300 سنة .بايعه أعيان الجزائر سلطانا عليهم سنة 1519 بعد استشهاد أخيه أروج، و بذلك أصبحت الجزائر إيالة تابعة للدولة العثمانية في عهد السلطان **سليم الأول**. للبيلرباي خير الدين سجل حافل من الإنجازات بدءاً ب: تصديه لحملة ملك صقلية على الجزائر **هيكو دي مينكادا Mongada Hego de** في سنة 1519،وانقاذه 70.000 من المهاجرين الأندلسيين ، و نقلهم إلى الجزائر، كما إستطاع أن يطرد الإسبان نهائيا من **قلعة البينيون penou kalesi** (**الملحق الثالث و الرابع و الخامس**) في 1529م.أما على المستوى الخارجي فقد عين من طرف السلطان سليمان القانوني قبطان داريا سنة 1534 ، و

بيلرباي على الجزائري نفس الوقت ، واستطاع ان يهزم التحالف الصليبي في معركة بروزة 1538م ثم مساعدته على رأس الأسطول العثماني لنجدة لملك الفرنسي فرانسوا الأول 1543م ، و في الأخير توفي خير الدين بربروس في تموز 1546، ودفن في التربة التي أعدها بنفسه في ساحل بشكتاش بإسطنبول

8. [iv] –محمد دراج ، الدخول العثماني للجزائر ودور الاخوة بربروس (1512–1543) ، ط 3 ، شركة الأصالة للنشر، 2015 ، ص167
9. [v] –**سليم الأول (1512–1520)** : سلطان عثماني –حاكم الدولة العثمانية– استطاع في عهده توسيع حدود امبراطوريته بعد ضمه لأراضي المشرق – الشام و الحجاز و مصر– بعد موقعتي مرج دابق في 1516/08/24 و الريدانية في 1517/01/22 م ثم أراضي المغرب بعد الحاق الجزائر في 1519 م .كما بدأت في عهده الامتيازات العثمانية الفرنسية (حق صيد المرجان في السواحل الشرقية الجزائرية) وإقامة مراكز تجارية بها ،بموجب معاهدة 1520 م بين الدولة العثمانية وفرنسا .
10. – يلماز أوزتونا، تاريخ الدّولة العثمانية، تر:عدنان محمود سلمان،مر: محمود الأنصارى،المجلد الأول،إستانبول، 1988 ، ص ص 222، 226، 255؛
11. **أنظر أيضا** : جميل عائشة، الجزائر و الباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1520–1830م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2017–2018، ص ص 169–170.
12. مولود قاسم، مولود قاسم نايت قاسم ، شخصية الجزائر الدّولية و هيبتها العالمية قبل سنة 1830 ، ج 2، ط2 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2007 ، ص 12
13. [vi] –**ولاية إقليمية إستثنائية** :عرفت هذه الولايات باستثنائها من الأحكام العمومية التي كانت تنظم بقية الولايات التابعة للدولة العثمانية. وهذه الولايات الاستثنائية هي : مصر،اليمن،الحبشة،البصرة،بغداد،الجزائر،**طربلس الغرب وولاية تونس–كانتا تحت اشراف بايلرباي ولاية الجزائر أيام حكم خير الدين بربروس**. وأهم ما يميز هذه الولايات أنها لم تكن منظمة وفق التنظيمات العامة التي كانت مطبقة في بقية الولايات.بل روعيت النظم المحلية التي كانت موجودة في تلك الولايات قبل الحاقها بالدّولة العثمانية،ويعود هذا الاستثناء إلى أن تلك الولايات كانت تتمتع بموقع استراتيجي خاص، أو أنها تقع على مسافة بعيدة جدا عن مركز الدّولة إلى غير ذلك من الاسباب الخاصة. **أنظر**: محمد دراج ، الدخول العثماني للجزائر، المرجع السابق ،ص 265 .
14. [vii] –**أنظر**: إدوارد شيفرد كريسي، تاريخ الأتراك العثمانيين ،تر: د.أحمد سالم سالم، ط1، دار جامعة حمد بن خليفة للنشر، قطر، 2019، ص171
15. **وأيضا**: شوقي عبد الكريم، الإستخبارات الجزائرية (من 1492م إلى 1830م) ، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله ، 2015–2016، ، ص ص 144–149؛
16. جون جوليوس نورويش، الأبيض المتوسط "تاريخ بحر ليس كمثله بحر"، تر : طلعت شايب، ط1 ، المركز القومي للطرجمة، القاهرة، 2015 ، ص 348.
17. [viii] –**النخبة** : يقول المثل "ما أكثر المتعلمين و أقّل المثقفين"، **فالنخبة** هي جماعة مستقلة بذاتها لها قدرة التنظيم ولو نسبيا، كما لها قدرة التواصل داخل المجتمع و التعامل مع الدولة، فهي بذلك أقلية فاعلة و مؤثرة ذات قوة معنوية و سلطة أدبية تجعل أفرادها مؤهلين للتعامل و لها تأثير معنوي او مادي مما يسمح لها بتسلم أو الارتقاء إلى أعلى الهرم الاجتماعي. كما لها قيمة رمزية مما يجعلها الضمير الحي للأمة .
18. و بذلك **فالمثقف** : هو ذلك الشخص الـ ذي يعيش الثقافة من خلال سلوكه و يمارسها من خلال فعله و يؤثر في وسطه و بذلك يغيّر بيئته. فمطلوب من المثقف الجزائري اليوم باعتباره نخبة أن يفهم الواقع الاجتماعي وان يستوعب متغيرات الحراك الشعبي في ضوء المطالب و التوجهات ،وأن ينتج الأفكار و يحدّث النظرة.

19. فالفرق بين المثقف و المتعلم يكمن في أن : المتعلم هو حامل شهادة ذوي معرفة لكن المثقف هو الشخص الذي يفعل المعرفة في المجتمع، وبذلك نجد أن العلم هو شيء شخصي ، فقد نجد اليوم شخص يحمل أعلى الشهادات لكنه سلبي في المجتمع لا يستطيع أن يطور أي شيء .
20. **أنظر** : سعيد وني ناصر الدين ،محاضرة : دور النخب الجزائرية في دفع حركة الإصلاح الجديد ، منتدى العلاقات العربية و الدّولية ، 28 مارس 2019، الدقيقة 7-9

21. https://www.youtube.com/watch?v=bdvRER3_Ayk
22. **وأيضا:** ناصر الدين سعيدوني، الخلفية التاريخية للحراك الشعبي في الجزائر، جلسة " ديناميات الحركة الاحتجاجية "، ندوة "آفاق الحركة الاحتجاجية ومستقبل التحول الديمقراطي في الجزائر، الدوحة ، 2019/04/20،الدقيقة ، 21-24 .
23. https://www.youtube.com/watch?v=8BPNsZrujEM

- وتاريخيا عرفت بلاد المغرب العثماني نوعين من النخبة: نخبة حكومية وأخرى غير حكومية:

24. النخبة الحكومية فهي النخبة الرسمية وكان مجال ارتقائها الحروب والغزوات ومعدنها الانتصارات والبطولات الملحمية التي تصنعها الانكشارية ورياس البحر وهما حجر الزاوية في النظام العثماني بصفة عامة. فالنخب المؤسسة لهرم السلطة في نظام البيلك، تتكون أساسا من العلوج الذين يرتقون إلى الباشاوية عن طريق الثورات الداخلية والغزوات التي تمجد بطولاتهم في البحر. وقد شكل الكراغلة عنصرا هاما في النخب الحاكمة والمديرة الشؤون البايلك ودار السلطان،حيث أعيد اعتبارهم كنخبة حاكمة بفعل قانون آحاد، الذي صدر في حقهم في نهاية القرن الثامن عشر ليسمح لهم الاشتغال في وظائف حكومية عليا :ترجمان، باش اسكى، خوجا ...إلخ. كما أسس عنصر البطولة لنخبة سياسية و حكومية و عسكرية من خير الدين إلى أحمد باي مرورا بصالح رايس و العلج علي...الخ.
25. أما فيما يتعلق بالنخب غير الرسمية أو غير الحكومية إن صح التعبير فقد كانت تنتجها الزاوية وشجرة النسب وسلسلة الذكر التي تحدد الولاء الى الطريقة أو الجماعة الدينية، و تعتبر الزاوية كمعلم اجتماعي متفوق في الوسط المدني والريفي و مصنعا منتجا لكل انواع النخب على المستوى الاجتماعي القاعدي والحضاري.
26. **أنظر**:كمال فيلالي، **تاريخ المغرب الحديث** من فتح القسطنطينية إلى سقوط قسنطينة 1453-1837،ط2018،2،ص ص 338-340.

27. [ix] -ناصر الدين سعيدوني ، واقع الدراسات العثمانية بالجزائر عرض تعريفي و نظرة تقييمية ، مجلة المواقف ، العدد 7 ، 1ديسمبر 2012 ، ص ص 32-34.
28. [x] -**أنظر**: ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر،2014، ص ص 25-28.
29. كمال فيلالي، **تاريخ المغرب الحديث** ، المرجع السابق، ص ص 83،89
30. مُحَمَّد دراج ، الجزائر في المصادر العثمانية ،المرجع السابق ، ص ص 66-67/ دراج، الدخول العثماني،المرجع السابق، ص264،185.

31. [xi] -و هو لقب أطلقه الأوروبيون عليه و على أخيه عروج**ORUç** لشقرة حليته .
32. **أنظر**: دراج، الدخول العثماني،المرجع نفسه، ص 183 /مُحَمَّد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية (دراسة للمصادر و نصوص مترجمة من التركية العثمانية إلى العربية)، الأصالة ، الجزائر، 2018 ، ص 64 / أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و أسبانيا 1472 – 1792 ، دار البعث ، قسنطينة-الجزائر ، ص 158

33. [xii] -**ويرجح المدني أيضا**: أن اسمه "**خسرف**". المدني، حرب الثلاثمائة..،المرجع نفسه ص 156.
34. [xiii] -دراج، الدخول العثماني للجزائر، المرجع نفسه، ص 183

35. [xiv] – **أنظر**: دراج ، الدخول العثماني إلى الجزائر، المرجع نفسه، ص ص 169،183.

36. [xv] –**يعقوب آغا**: أحد المستوطنين الأوائل لجزيرة ميدلي بأمر من مُحَمَّد الفاتح الذي فتحها،وهو ابن لأحد فرسان السبايهية SiPAHi كما كان له في منطقة واردار VARDAR المجاورة لسلانيكSELANiK (تقع اليوم ضمن الأراضي اليونانية) أرض اقطاع وهبت له بأمر من السلطان مُحَمَّد الفاتح عندما استقر بالجزيرة. و تزوج إحدى بنات أهالي الجزيرة.

37. **أنظر**:مؤلف مجهول، مذكرات خير الدين بربروس ،المصدر السابق، ص ص 23-25/ دراج، الدخول العثماني للجزائر،المرجع نفسه،ص ص 168 – 169

38. [xvi] –**السباهي** :في الكتابات التاريخية التي تؤرخ للجزائر خلال الفترة العثمانية يطلق عليها محليا اسم:"الصباحية". وتعرف بأنها إحدى التشكيلات العسكرية المكونة من فرسان قبائل المخزن .وهي القبائل التي كانت تمنحها الإدارة العثمانية في الجزائر صلاحيات أمنية وإدارية واسعة في الريف الجزائري الخاضع للإدارة العثمانية .غير أن مفهوم هذه التشكيلة كان لها مدلول أكثر خصوصية في الأراضي العثمانية بالأناضول والروملي .فقد كانت تتكون هذه الفرقة من الفرسان الأتراك أو المحليين الذين تجندهم الدولة العثمانية لدعم قواتها النظامية، مقابل استفادتهم من أراضي الإقطاع العسكري التي كانت تمنح لهم.

39. مؤلف مجهول، مذكرات خير الدين بربروس ، المصدر نفسه، ص 24

40. [xvii] –ذكر **خير الدين** في مذكراته أن أباه يعقوب تزوج إحدى بنات جزيرة ميدللي بعد أن استقر بها . مؤلف مجهول، مذكرات خير الدين بربروس ،المصدر انفسه ص 25 .و أشار بن أشنهو أن إسم أم الإخوة بربروس "كاتالينا " ، وأنها بنت راهب أسلم .انظر: بن أشنهو ، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر،الجزائر، ص 38 . وفي نفس السياق رجح أحمد توفيق المدني أن والدتهم كانت سيدة أندلسية ،وقبل ذلك كان قد نقل عن مؤرخين أوروبيين (دون أن يعلّق عليهم) فذكر أن أمهم كانت أرملة راهب يوناني قبل أن تتزوج والده السيد يعقوب .

41. **انظر**: المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، المرجع السابق، ص ص 156-157 .

42. [xviii] –دراج ، الجزائر في الوثائق العثمانية، المرجع السابق، ص ص 64-65.

43. [xix] –المدني ، المرجع السابق، ص 157.

44. [xx] –و تذكر بعض المصادر أيضا على غرار : درويوسكا أنطوانيط Drohojowska Antoinette –الغير معروفة بين أوساط المؤرخين الحديثين– والضابط الاسباني، قائد حامية وهران، قومارا لوبيز (1511-1566م) Francisco Lopez de Gomara ،أن عروج سقط في أسر على مقروبة من سواحل جزر = كرامان التركية. فافتداه أمير كرامان، أنذاك "كركود"، ابن السلطان بيازيد، وأرسل به غازيا ضد الجنويين. ليستقر بهما الأمر هو و أخوه[خير الدين] في جزيرة جربة.**أنظر**: كمال فيلالي، **تاريخ المغرب الحديث** ،المرجع السابق،ص81. ويذكر مُحَمَّد دراج أيضا في كتابه أن : عروج لفت انتباه الأمير قرقود أخي السلطان سليم الأول ، المعروف بحمايته للبحارة الأتراك ،فلقي منه عناية وعونا خاصين.**أنظر**: دراج،الدخول العثماني للجزائر،المرجع السابق، ص170.في حين يشير خير الدين في مذكراته أنه غادر مع أخيه جزيرة ميدللي بعد مقتل قرقود أي: نهاية 1512، ليبدأ فصل جديد في مغامراتهم على سواحل المغرب من جربة . أنظر: مؤلف مجهول، مذكرات خير الدين بربروس ، المصدر السابق،ص ص41-47.

45. [xxi] –**و يذكر** الأستاذان كمال فيلالي و مُحَمَّد دراج أن وفاة عروج كانت صيف 1518 حيث: يذكر كمال فيلالي أن مقتل عروج بضواحي تلمسان على مقربة من واد المالح Rio de salado بعد حصار جراسيا دي تيناز Gracia de Tenez في أوت 1518 لعروج مدة 26 يوم . و هي نفس الفترة التي يشير اليها مُحَمَّد دراج و يضيف إليها مقتل أخوه إسحاق أيضا بقلعة بني راشد في 1518.

46. **أنظر** : كمال فيلالي،المرجع السابق،ص89 / دراج، الدخول العثماني للجزائر،المرجع السابق، ص ص 243-246

47. [xxii] –سعيدوني ،تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق،2014، ص ص 25-27.

48. [xxiii] –**جيجل** : توسطها بين بجاية و الجزائر من جهة، وقربها النسبي من بجاية، جعل الأخوين يتخذانها نقطة ارتكاز ينطلقان منها لمد نفوذهما في الجزائر،بالاضافة إلى قاعدته الأخرى في حلق الوادي بجربة .

49. –دراج ، الدخول العثماني للجزائر ،المرجع السابق ،ص 217

50. [xxiv] –**أنظر**: دراج ، الدخول العثماني للجزائر ،المرجع نفسه، ص ص 209- 210 .

51. [xxv] –**أنظر**: دراج ، الدخول العثماني للجزائر، المرجع السابق، ص ص 173-174

52. [xxvi] –تتجسد قدرة الإخوة في دمج العنصر المحلي من الأهالي الجزائريين في مشروع إعادة فتح الجزائر و تحريرها و من ثم توحيدها من خلال: نجاح الأخوين في المحاولة الثانية لتحرير بجاية صيف 1514 في كسب مساندة 20.000 من رجال القبائل الذين توافدوا من جميع النواحي المحيطة ببجاية.كما يدّعي مُحَمَّد العربي **الزبيري أن** قبيلة بني العباس البربرية أرسلت 5000 من رجالها لمساندة عروج و صحبه في حصاره الثاني لبجاية . للدلالة على قبول أغلب الأهالي للمسلمين الأتراك و مساندتهم في مشروعهم.

53. **أنظر**: دراج ، الدخول العثماني للجزائر، المرجع نفسه، ص 220

54. [xxvii] –**أنظر** : سعيدوني ،تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق،2014، ص 26 / دراج، المرجع نفسه ، ص 184

55. [xxviii] –**أنظر**: مُحَمَّد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، المرجع نفسه ، ص ص 66-67.

56. [xxix] –دراج، الدخول العثماني للجزائر ،المرجع نفسه، ص 251

57. [xxx] –سعيدوني ،تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق،2014، ص ص 27-28

58. [xxxi] –**أنظر**: دراج، الدخول العثماني للجزائر ،المرجع السابق، ص 268.

59. [xxxii] – دراج، الدخول العثماني للجزائر ،المرجع نفسه، ص ص 268-269

60. [xxxiii] –**أنظر**: دراج،الدخول العثماني للجزائر، المرجع السابق، ص 269

61. [xxxiv] –يختلف الناس حول شخصية **ابن القاضي** كالتباس الأمر على معظم المؤرخين الذين تحدثوا عن ثورة ابن القاضي بسبب تكرار نفس اللقب العائلي الذي حمله آل ابن القاضي لفترة طويلة .فاعتقدوا أن القاضي الشيخ العلامة أحمد ابن القاضي الذي ساند الأتراك وتحمس لدعوتهم إلى بجاية ثم إلى مدينة الجزائر، وترأس أعيان المدينة الذين قابلوا السلطان العثماني سليم الأول طالبين منه حماية بلدهم وتحريرها من الاحتلال الإسباني .أقول لقد ظن هؤلاء الباحثون أن هذا الرجل بكل هذه المواقف العظيمة انقلب على خير الدين .ولما لم يجدوا مطعنا في ابن القاضي راحوا يقومون بتأويل هذه الثورة على غير وجهها ويبحثون عن أعذار يبررون فيها هذا الانقلاب .واختصروا الأمر في استبداد عروج وأخيه بعدما ذاقوا حلاوة الحكم والسلطة .وحينما ندقق الأمر نجد أن الثائر على خير الدين هو ابن الشيخ ابن القاضي المذكور، وليس العلامة أحمد ابن القاضي الذي ساند الأتراك وترأس وفد أعيان الجزائر الذين قابلوا السلطان سليم الأول .وقد صرح خير الدين بنفسه بهذا في مذكراته .فإذا صح ما ورد في المذكرات فإن الالتباس يزول بالكامل، ولا يبقى معنى لترويج خطأ متوارث على مر السنين .

62. **أنظر**: دراج، الدخول العثماني للجزائر ، المرجع نفسه، ص 280 .

63. [xxxv] –سعيدوني ،تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق،2014، ص ص 28-29.

64. [xxxvi] –**أنظر**: دراج،الدخول العثماني للجزائر، المرجع السابق، ص 284/ سعيدوني ،تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق،2014، ص 29

65. [xxxvii] –**أنظر**: دراج،الدخول العثماني للجزائر، المرجع السابق، ص ص 284-289.

66. [xxxviii] –**البايلربايلك** هي : ولاية كبيرة يتمتع حاكمها بصلاحيات إدارية و عسكرية واسعة. يشرف على إدارتها بايلرباي؛ **أنظر**: مُحَمَّد دراج ، مذكرات خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص 152 .

67. [xxxix] -**أنظر**: محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، المرجع نفسه، ص ص 67-69
68. [xl] -**أنظر**: دراج،الدخول العثماني للجزائر، المرجع نفسه، ص ص 69،261.
69. [xli] -**أنظر**: سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع نفسه، ص 33
70. [xlii] -**أنظر**: دراج،الدخول العثماني للجزائر، المرجع السابق، ص 262

71. [xliii] -**حسن آغا** : هو حاكم الجزائر بالنيابة عن خير الدين أثناء غيابه (1533 – 1541م)، أصله إيطالي، أسر في إحدى غزوات الجزائريين بإيطاليا وأخذه خير الدين بربروس كربيب له، حيث تربى في حجره و أصبح من أكبر مساعديه في الحروب التي خاضها، وعندما أصبح قائدا للأسطول العثماني، عينه حاكما على الجزائر خلفا له،في أثناء قيادته للأسطول العثماني، وقد واجه حسن آغا ظروفا صعبة جداً إذ وقف في وجه حملة الامبراطور الإسباني شارل الخامس –شاركان- عام 1541 و عينه السلطان **سليمان القانوني** على إثرها بايلربايا على الجزائر في نفس العام بعدما أرسل إليه فرمان الإمارة، وبذلك رسم صورة مرعبة للأوروبيين عن قوة الجزائر التي لا تقهر، ولم يطل الأمر بحسن آغا حيث مات بعد المعركة بقليل في سنة 1544م.
72. **أنظر**: توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة ، المرجع السابق، ص ص 228، 230، 236،241،242،245،282
73. شوقي عبد الكريم، المرجع السابق، ص 144.
74. محمد دراج، الدخول العثماني، المرجع نفسه، ص ص 348-349.
75. [xliv] -**شارلكان**: اشتهر في المصادر العربية باسم: شارل الخامس أو شالكان، و كان يعرف في المصادر التركية باسم: كارلوس. ملك اسبانيا و ألمانيا.معاصر للسلطان سليمان القانوني. كان أعظم ملوك أوروبا في النصف الأول من القرن السادس عشر.
76. مؤلف مجهول، مذكرات خير الدين بربروس ،المصدر السابق، ص 69

77. [xlv] -**أندريا دوريا**: بحار جنوي شهير، ولد في حدود 1498. عمل محافظا لدى البابا في مطلع شبابه. ثم التحق بالأسطول الجنوي سنة 1513. ثم عمل في الأسطول الفرنسي. وبفضل مهارته البحرية سجل الأسطول الفرنسي عدة انتصارات على الأسطول الإسباني. كما مارس أندريا دوريا القرصنة لحسابه الشخصي فجمع من ذلك أموالا كثيرة. يعتبر أندريا دوريا أعظم بحار في العالم المسيحي في القرن 16م.
78. مؤلف مجهول، مذكرات خير الدين بربروس ، المصدر السابق ، ص 129-130.
79. [xlvi] -**أنظر**: دراج،الدخول العثماني للجزائر، المرجع السابق، ص ص 339- 344 .
80. [xlvii] -**بيري رايس Piri Reis** : هو جغرافي و بحار تركي ولد في شبه جزيرة ((غاليبيولي GELIBOLU)) بعد سنة 1465م، تميز بكتابه ((**كتاب بحرية**)) ، الذي يعتبر مصدرا أساسيا لدراسة تاريخ الجزائر في مطلع القرن 16م، بدأ نشاطه البحري في فترة مبكرة من حياته إلى جانب خاله البحار التركي الشهير **كمال رئيس**، الذي كان سنده في حملات عديدة لاجلاء الأندلسيين إلى الأراضي العثمانية على غرار حملة 1510م التي انطلقت من السواحل المغربية. وبعد وفات عمه كمال رئيس التحق **بخير الدين بربروس** الذي وصل إلى سواحل غرب المتوسط في 1512 م، بل وأصبح أحد قادة وحدته المقربين. وقد خصص بيري رايس للسواحل الجزائرية فصولا مهمة من كتابه ، فتحدث عن مرسى هنين و المرسى الكبير ووهران وتنس شرشال و الجزائر ودلس وبجاية وجيجل وعنابة. كما رسم خرائط في غاية الأهمية لتلك السواحل، مبينا فيها الجزر و الخلجان و الحصون والقلاع والأبراج والوديان و آبار المياه. وأما الخرائط التي رسمها، فلا تقل أهمية عن المعلومات التي أوردها ،وذلك بالنظر إلى كون الكثير من تلك المواقع اندرست ولم يعد لها وجود بسبب التغير العمراني الذي طرأ على المنطقة. فلو لم تذكر تلك المعالم في خرائط بيري رايس لما استطاع الباحث التعرف عليها اليوم ، حتى وإن أشار إليها بعض الرحالة في مصنفاتهم.
81. **أنظر**: محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية –دراسة للمصادر ونصوص نموذجية مترجمة من التركية إلى العربية-،شركة الأصالة،2018، ص ص 29-51،35-54

82. [xlviii] –**أنظر**: دراج، الدخول العثماني للجزائر ،المرجع السابق، ص ص 175-177.

83. [xlix] –إن موافقة السلطان **سليم الأول** و قبوله لعرض خير الدين تعود جذوره لخلفية تاريخية معروفة لدى السلطان إذ أنه ساعد **الاخوان خير الدين و عروج** بداية تواجدهما في منطقة شمال إفريقيا ليكملا المشروع الذي أرسى معالمه **كمال رايس** في الاغاثة على سواحل اسبانيا حينما استغاث به مسلمو غرناطة بتكليف من **السلطان بيازيد الثاني**. فلقد بدأت معالم التعاون تبدوا ظاهرة منذ أن راسل الاخوان السلطان سليم الأول بوساطة وفد إلى اسطنبول مع شخصية هامة ، ألا وهي **بيري رايس** ابن أخت كمال رايس ، حيث غادر بيري رئيس تونس في 6 سفن محملة بالهدايا...وسر السلطان بذلك سرورا عظيما .وكافأهما على هذه الالتفاتة الكريمة بسفينتين مشحونتين بالسلاح و العتاد . ثم بعث برسالة إلى السلطان الحفصي يحذره و يأمره بتقديم العون للأخوين في مهمتهما. وهذا ما أعطى بداية الصبغة الرسمية للعلاقة بين الاخوين بربروس و الدّولة العثمانية . وبهذا كان لهذا الاتصال الأول في 1516 دافعا قويا للأخوين نحو استمرارهم في الفتح وأهمية كبيرة على مستقبل الوجود العثماني في شمال إفريقيا.

84. **أنظر**: دراج، الدخول العثماني للجزائر ،المرجع السابق،ص ص 224-226.

85. [l] –**كمال رئيس** : بحار تركي انتقل إلى غرب البحر المتوسط برفقة عدد من البحارة لنجدة مسلمي الأندلس. ثم دخل في خدمة الدولة العثمانية سنة 1494، فقاد حملات عسكرية على السواحل الإسبانية بأمر من السلطان العثماني بايزيد الثاني. وذلك بعدما وصلت إلى هذا الأخير رسالة استغاثة من أهل الأندلس. توفي غرقا سنة 1511، فالتحق معظم البحارة الذين كانوا يعملون معه **بخير الدين بربروس**. ومن هؤلاء ابن أخته أو ابن أخيه – بيري رئيس المشار إليه آنفا. يعتبر كمال رئيس أول قائد بحري عثماني يقود حملات عسكرية على السواحل الإسبانية. كما أنه أول من قام بنقل عدد كبير من مسلمي الأندلس واليهود وتوطينهم في الأناضول.

86. مؤلف مجهول، مذكرات خير الدين بربروس ، المصدر السابق ، ص 60.

87. [li] –**محاكم التفتيش** (**Inquisition**) أو دواوين التحقيق، تعود أصولها إلى قرارات مجمع فيرونا (1183م) الموجهة لردع الداعين إلى التعاليم المغلوطة والمضادة لتوجهات الكنيسة، ثم أصبحت هذه القرارات محددة بمراسيم بابوية صدرت تباعا (1477م و1542 و1556م)، للقضاء على أتباع الحركة الإصلاحية، ولا جتثاث العناصر المسلمة واليهودية من شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا والبرتغال) بالتعذيب والحرق بحجة كونهم هراطقة، وقد كان توماس دي توكيدا أشهر رؤساء محاكم التفتيش بإسبانيا، فقد حكم بتهمة الهراطقة في مدى ثاني عشر سنة على مائة ألف شخص، منهم 7000 صدرت في حقهم أحكام بالإعدام.

88. سعيدوني، ولايات المغرب العثمانية، المرجع السابق، ص 19

89. [lii] –**مشروع الاسترداد المسيحي** المعروف لدى الإسبان بحرب **الريكونكيستا** يهدف إلى طرد المسلمين من إسبانيا، تعود بدايته إلى مقاومة الزعيم القوطي بيلايو بعد نجاته من معركة البرباط (711م) التي قضى فيها المسلمون على قوة القوط، وتطور هذا المشروع مع تشكل الممالك النصرانية بشمال إسبانيا (ليون وقشتالة وأراغون) ، ولم تلبث حركة الاسترداد أن أصبحت تهدد وجود المسلمين بالأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية بقرطبة وظهور ملوك الطوائف (1031) ، فلم يتمكن المرابطون ثم الموحدون ومن بعدهم المرينيون أن يوقفوا تقدم النصارى نحو الجنوب، فسقطت حواضر الأندلس تباعا في أيدي ملوك النصارى (طليطلة 1085، وقرطبة 1238، وإشبيلية 1248)، قبل أن تتوحد إسبانيا بزواج إزابيلا ودفرناندو ويتم القضاء على مملكة بني الأحمر بالاستيلاء على عاصمتها غرناطة (1492).

90. سعيدوني، ولايات المغرب العثمانية، المرجع السابق، ص 17

91. [liii] –**إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية** : تعود جذور لطلب الالحاق أو طلب العون من الباب العالي هو إدراك خير الدين و أخوه عروج لمدى الصعوبات المحلية و الإقليمية المحيطة به إذ أنه ليس باستطاعته بإمكانياتهما الذاتية المحدودة التصدي لدولة قوية ناشئة مثل إسبانيا . وغاية ما يمكنهما القيام به هو شن غارات خاطفة ومفاجئة على سواحلها وسفنها التجارية، وتخليص من يستطيعان تخليصه من مسلمي الأندلس .أما تحرير المدن التي يحتلونها في شمال إفريقيا فإن ذلك يحتاج فعلا إلى دعم دولة قوية مثل الدولة العثمانية . كما دفع تخاذل القوى

المحلية المحيطة به إلى الاستعانة بأبناء جلدته ،وقد تأكدت له الحاجة الماسة إلى مساندة الدولة العثمانية، حينما رأى تخاذل السلطان الحفصي عن امداده و أخوه بالبارود أثناء المحاولة الثانية لتحرير بجاية.

92. **أنظر**: دراج، الدخول العثماني للجزائر،المرجع السابق ،ص 224-225

93. [liv] -كمال فيلالي،المرجع السابق،ص89 / دراج، الدخول العثماني للجزائر،المرجع نفسه،ص 254

94. [lv] -سعيدوني ،تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق،2014، ص 28

95. [lvi] -**أنظر**: أرزقي شويتام، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي...، المرجع السابق،ص ص 39-48،40

96. [lvii] - أرزقي شويتام، المرجع نفسه، ص 47

97. [lviii] -**أنظر**:مؤلف مجهول، مذكرات خير الدين بربروس ،المصدر السابق،ص ص 134-135

98. [lix] -**أنظر**: دراج، الدخول العثماني للجزائر،المرجع السابق، ص 243 .

99. [lx] -مصطلح جاء به المؤرخ الفرنسي robert mantran يقربأن الأمبراطورية العثمانية phénomène أو ظاهرة شملت البحر المتوسط حيث أن الدّولة العثمانية أعطت الاطار المتكامل للمنطقة العربية الإسلامية و بذلك فالرابطة العثمانية تمثل الوحدة من خلال تنوع الشعوب و الثقافات كنموذج قضى على التمزقات السياسية.

100. **أنظر أيضا:** ناصر الدين سعيدوني، إشكالية السيادة الجزائرية في العهد العثماني، الندوة الدولية بمناسبة "الذكرى 500 لوصول الإخوة بربروس إلى شواطئ الجزائر 1516-2016"،جامعة أحمد ميرة – بجاية / الجزائر،09-10 نوفمبر 2016 . الدقيقة 7-9

101. https://www.youtube.com/watch?v=6M9H4o088fk

102. [lxi] -**قبودان باشا أو قبطان باشا أو قبطان داريا**: هو القائد العام للقوات البحرية العثمانية .

103. **أنظر** : مؤلف مجهول، مذكرات خير الدين بربروس ، المصدر السابق ، ص 44

104. [lxii] -وأما الذي حدث في أثناء زيارة خير الدين سنة 1533بناء على دعوة السلطان سليمان القانوني، فإنها كان تأكيدا لولايته كبيلر باي على الجزائر، بالإضافة إلى منصبه الجديد المتمثل في القيادة العامة للأسطول العثماني .ولأن خير الدين هو أول عثماني يتولى منصبين على هذا القدر من الحساسية والخطورة في وقت واحد؛ فقد كان يحتاج إلى إصدار فرمان سلطاني آخر يؤكد ولايته للجزائر، دفعا للّبس وقطعا للقيل والقال التي بدأ بعض الوزراء الحاسدين يتحدثون بها .إذ لم يترددوا أن همسوا في آذان بعضهم بعضا بأن السلطان قد ولى قرصانا على الأسطول العثماني

105. دراج،الدخول العثماني للجزائر، المرجع نفسه، ص 264

106. [lxiii] -**معركة بروزة** : هي أكبر معركة بحرية في العصر الحديث وقعت في خليج بروزة ببحر الأدرياتيك قبالة السواحل اليونانية في يوم 28 سبتمبر 1538"، بين التحالف الأوروبي المسيحي بقيادة " أندريا دوريا " و بين الأسطول العثماني بقيادة **"خير الدين بربروس"**،و انتهت هذه المعركة بانتصار العثمانيين مما مكّنهم لفرض سيطرتهم على حوض البحر الأبيض المتوسط لمدة ثلاثين عاما تقريبا.

107. **أنظر** : مؤلف مجهول ، مذكرات خير الدين بربروس ، المصدر السابق ، ص 172

108. [lxiv] -دراج،الدخول العثماني للجزائر،المرجع نفسه، ص ص 186-187 .

109. [lxv] -**أنظر** : عبد الرحمان بن محمّد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3،ط7، ديوان المطلوعات الجامعية(الجزائر)،1415هـ1994م ، ص 37-38

110. [lxvi] -**أنظر**: دراج، الدخول العثماني للجزائر ،المرجع نفسه، ص ص 178-179

111. [lxvii] –يصرح خير الدين في مذكراته للتأكيد على استنجاد الجزائريين به من مختلف الجهات بقوله : ((عندما كنت مع أخي في مدينة جيجل، وصلت وفود عديدة من المدن الجزائرية .كان أهمها وفد مدينة الجزائر التي كانت تمثل مركز البلاد .كان أهالي الجزائر يشكون من ظلم الإسبان، ويرجون تدخلنا لإنقاذهم .فخرج عروج في 500بحار متجها إلى مدينة الجزائر بعد أن استخلفني على جيجل))

112. دراج،الدخول العثماني للجزائر ،المرجع نفسه، ص234 .

113. [lxviii] – دراج،الدخول العثماني للجزائر ،المرجع نفسه، ص 186

114. [lxix] –يرجح مترجم هذه المذكرات في تعليقه: أن هذه السنة كانت بعد تحرير قلعة البنيون 1529 و قبل سفره إلى اسطنبول لتولي قيادة الأسطول العثماني في 1533أو 1534م. **أنظر**: مذكرات بربروس، المصدر السابق، ص 135.

115. [lxx] –**أنظر**: مذكرات بربروس، المصدر نفسه، ص 138

116. [lxxi] –**أنظر**: دراج، الدخول العثماني للجزائر ،المرجع نفسه، ص ص 215-216

117. [lxxii] –**أنظر**: دراج، الدخول العثماني للجزائر ،المرجع السابق، ص 214

118. [lxxiii] –**أنظر**: المرجع نفسه، ص234

119. [lxxiv] –**أنظر**: المرجع نفسه، ص 235

120. [lxxv] –المرجع نفسه، ص ص 269-270 .

121. [lxxvi] –**أنظر**: دراج، الدخول العثماني للجزائر ،المرجع السابق ، ص 268

122. [lxxvii] –**أنظر**:مؤلف مجهول، مذكرات خير الدين بربروس ،المصدر السابق، ص139

123. [lxxviii] –مؤلف مجهول، مذكرات خير الدين بربروس ، المصدر السابق، ص ص 74-75

124. [lxxix] –**أنظر**: المصدر نفسه، ص ص 77-78

125. [lxxx] –**أنظر**: دراج، الدخول العثماني للجزائر ،المرجع نفسه، ص 284

126. **أنظر أيضا** : سعيدوني ،تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق،2014، ص 29-30

127. [lxxxi] –**أنظر**: دراج، الدخول العثماني للجزائر ،المرجع نفسه، ص ص 290-291

128. **أنظر**: كمال فيلالي، **تاريخ المغرب الحديث** ،المرجع السابق،ص ص 111

129. [lxxxii] –مؤلف مجهول، مذكرات خير الدين بربروس ،المصدر السابق، ص ص 45،53،57،61،64،66،67،68،73،135،138.

***قائمة البيبليوغرافيا المعتمدة في انجاز البحث :

أ- قائمة المصادر و المراجع :

1. أوزتونا يلماز ، تاريخ الدّولة العثمانية، تر:عدنان محمود سلمان،مر: محمود الأنصارى،المجلد الأول،إستانبول، 1988

2. الجيلالي عبد الرحمان بن مُحَمَّد ، تاريخ الجزائر العام، ج3،ط7، ديوان المطلوعات الجامعية(الجزائر)،1415هـ1994م

3. دراج مُحَمَّد ، الجزائر في المصادر العثمانية (دراسة للمصادر و نصوص مترجمة من التركية العثمانية إلى العربية)، الأصالة ، الجزائر، 2018 .

4. دراج مُحَمَّد ، الدخول العثماني للجزائر ودور الاخوة بربروس (1512-1543) ، ط 3 ، شركة الأصالة للنشر، 2015 .

5. سعيدوني ناصر الدين ، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر،2014.

6. سعيدوني ناصر الدين و بوعبدلي المهدي ، الجزائر في التاريخ –العهد العثماني- الجانب الاقتصادي و الاجتماعي من تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1984.

7. سعيدوني ناصر الدين ، ولايات المغرب العثمانية(الجزائر- تونس-طربلس الغرب)،ط2، الجزائر،2014.

8. شويتام أرزقي ، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي (الفترة العثمانية 1519-1830م)،ط 2،دار الكتاب العربي،الجزائر،2016.

9. صابان سهيل ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،2000 .

10. فيلالي كمال ، **تاريخ المغرب الحديث** من فتح القسطنطينية إلى سقوط قسنطينة 1453-1837،ط2،2018.

11. كريسي إدوارد شيفرد ، تاريخ الأتراك العثمانيين ،تر: د.أحمد سالم سالم، ط1، دار جامعة حمد بن خليفة للنشر، قطر، 2019.

12. المدني أحمد توفيق ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و أسبانيا 1472 – 1792 ، دار البعث ، قسنطينة–الجزائر .

13. مؤلف مجهول ، مذكرات خير الدين بربروس ، تر و تع : مُحَمَّد دراج ، ط2 ، الأصالة للنشر و التوزيع ،1434هـ/2013م .

14. مولود قاسم، مولود قاسم نايت قاسم ، شخصية الجزائر الدّولية و هيبتها العالمية قبل سنة 1830 ، ج 2، ط2 ، دار الأمة ، الجزائر .

15. نورويش جون جوليوس ، الأبيض المتوسط "تاريخ بحر ليس كمثله بحر"، تر : طلعت شايب، ط1 ، المركز القومي للطرجمة، القاهرة.

16. هلايلي حنيفي ، العلاقات الجزائرية الأوروبية و نهاية الإيالة 1815-1830 ،ط1،دار الهدى،2007م/1428هـ.

ب–الرسائل الجامعية :

1. جميل عائشة، الجزائر و الباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1520-1830م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2017-2018.

2. سالمي عبد الهادي رجائي ، "العلاقات الجزائرية الإسكندنافية في الفترة العثمانية 1142-1206هـ/ 1729-1792م،" رسالة ماجستير، جامعة الجزائر.

ج–الدوريات و المجلات :

1. دراج مُحَمَّد ،تأسيس إيالة الجزائر ،(ب.ت) ص 30.موقع المقال : https://www.asjp.cerist.dz/en/article/94017

2. سعيدوني ناصر الدين ، واقع الدراسات العثمانية بالجزائر عرض تعريفي و نطرة تقييمية ، مجلة المواقف ، العدد 7 ، 1ديسمبر 2012 .

3. فكاير عبد القادر ، دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571 ،مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ ،العدد رقم 09 ، المركز الجامعي خميس مليانة ، ديسمبر 2014 .

د–الملتقيات والمحاضرات و الندوات :

1. سعيدوني ناصر الدين ، إشكالية السيادة الجزائرية في العهد العثماني، الندوة الدولية بمناسبة "الذكرى 500 لوصول الإخوة بربروس إلى شواطئ الجزائر 1516-2016"، جامعة أحمد مـــيرة – بجايـــة / الجزائـــر،09-10 نـــوفمبر 2016.
https://www.youtube.com/watch?v=6M9H4o088fk
2. سعيدوني ناصر الدين ، الخلفية التاريخية للحراك الشعبي في الجزائر، جلسة " ديناميات الحركة الاحتجاجية "، ندوة "آفاق الحركة الاحتجاجية ومستقبل التحول الديمقراطي في الجزائر، الدوحـــــة ، 2019/04/20.
https://www.youtube.com/watch?v=8BPNsZrujEM
3. سعيدوني ناصر الدين ،محاضرة : دور النخب الجزائرية في دفع حركة الإصلاح الجديد ، منتدى العلاقـــات العربيـــة و الدّوليـــة ، 28 مـــارس 2019.
https://www.youtube.com/watch?v=bdvRER3_Ayk